المؤرخ المقريزي

من مشاهير أعلام المسلمين

المؤرخ المقريزي[1]

هو أحمد بن على بن عبد القادر بن محمد بن إبراهيم تقي الدين المقريزي، (بفتح الميم نسبة إلى مقريز - محلة من بعلبكّ) البعلي ثم المصري الفقيه المؤرخ الشافعيّ. وأصله من (بعلبك)، ثم هاجرت أسرته واستقر بها المقام في مصر.

ولد سنة (٧٦٦ هـ / ١٣٦٤ م) بحارة برجوان، بقسم الجمالية،

(١) مصادر ترجمة المقريزي: - (هدية العارفين للبغدادي): ٥/ ١٢٧.
- (السلوك لمعرفة دول الملوك للمقريزي): ١/ ٢٢ - ٢٣، ٣/ ٥٢ وما بعدها.
- (الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة لابن حجر): ٢/ ٢٩١ - دار الجيل - بيروت.
- (إنباء الغمر لابن حجر): ٩/ ١٧١ - المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية - القاهرة.
- (دراسات عن المقريزي)، د. محمد مصطفى زيادة، د. جمال الدين الشيال، في آخرين، هيئة الكتاب - القاهرة. - (المقريزي مؤرخًا): د. محمد كمال الدين عز الدين على، رقم (٦) من سلسلة المؤرخين، عالم الكتب - القاهرة.
- (أربعة مؤرخين، وأربعة مؤلفات من دولة المماليك الجراكسة): د. محمد كمال الدين عز على رقم (٥٣) من سلسلة تاريخ المصريين - هيئة الكتاب - القاهرة.
- (الحسبة في مصر الإسلامية من الفتح العربيّ إلى نهاية العصر المملوكي): د. سهام مصطفى أبو زيد - هيئة الكتاب القاهرة.
- (البذل والبرطلة زمن سلاطين المماليك): أحمد عبد الرزاق أحمد، دراسة عن الرشوة - هيئة الكتاب - القاهرة.
- (المقريزي وكتابه درر العقود الفريدة - في تراجم الأعيان المفيدة): دراسة وتحقيق د. محمد كمال الدين عز الدين على - عالم الكتب - القاهرة.
- (ضوء الساري في معرفة خبر تميم الداريّ) للمقريزي: المقدمة، تحقيق وتعليق د. محمد أحمد عاشور.
- (معرفة ما يجب لآل البيت النبوي للمقريزي): المقدمة، تحقيق وتعليق د. محمد أحمد عاشور، هو والّذي قبله، طبع دار الاعتصام - القاهرة.

بمحافظة القاهرة، بمصر.

نشأ المقريزي في أسرة معروفة بالاشتغال بالعلم في دمشق وبعلبكّ والقاهرة. وعبر عشرين سنة - هي سنوات طفولته ومراهقته وشبابه - شهد المقريزي حوادث ذلك العصر الآفل من نافذته الفكرية المصرية البعيدة عن شؤون الدولة المملوكية وأمرائها الذين جعلوا من السلاطين الأطفال وأشباه الأطفال وقتذاك، ستارا رقيقا شفافا ساذجا يعملون من ورائه لتحقيق مطامعهم.

ثقافته:

وفي وسط تلك الحوادث الصاخبة المتقلبة، عكف الشاب أحمد المقريزي على الدراسة التقليدية لأبناء طبقته، وهي دراسة علوم الدين وحفظ القرآن ومعرفة النحو ودراسة الفقه والتفسير، والحديث، وبعض العلوم الأخرى مثلي التاريخ، وتقويم البلدان، والأدب، والحساب.

مصادر ثقافته:

ترجع مصادر ثقافة المقريزي إلى:

١ - أنه كان يملك مكتبة كبيرة ضخمة تضم العديد من الكتب في مختلف أنواع العلم والمعرفة المتداولة في عصره، والدليل واضح في الكثرة الكثيرة من المراجع التي أشارت في مؤلفاته إلى أنه رجع إليها وأخذ عنها.

٢ - أنه ولي وظائف كثيرة مختلفة، مكنته من التعرف على دولاب العمل وكيف يدار، وعلى مختلف النظم الإدارية والمالية، وعلى أحوال الشعب الاجتماعية والاقتصادية.

٣ - اشتغاله بعلمي الحديث والتاريخ، وهما علمان يعتمدان أصلا على الجرح والتعديل، والنقد والتحليل، والتثبت من كل قول، أو رواية أو حقيقة علمية.

شخصية المقريزي:

أودع المقريزي في صفحة العنوان من كتاب (السلوك لمعرفة دول الملوك)، شيئًا من صفاته الشخصية، حيث يقول بعد كتابة اسم الكتاب واسمه هو، وكأنما يخاطب نفسه:

(لا أحوجك الله إلى اقتضاء ثمن معروف أسديته، ولا ألجأك إلى قبض عوض عن جميل أوليته، ولا جعل يدك السفلي لمن كانت عليه هي العليا، وأعاذك من عز مفقود، وعيش مجهود، وأحياك ما كانت الحياة أجمل لك، وتوفاك إذا كانت الوفاة أصلح لك، بعد عمر مديد، وسمو بعيد، وختم بالحسنى عملك، وبلغك في الأولى أملك، وسدد فيها مضطربك، وأحسن في الأخرى منقلبك، إنه سميع قريب، جواد منيب).

الوظائف التي تولاها المقريزي:

التحق المقريزي بالخدمة الحكومية، بعد أن غدا بحكم طبقته وتعليمه من (أهل العلم والمعرفة) وهي التسمية المخصصة لهذه الطبقة تمييزا لها عن طبقة (أهل السيف) وهم المماليك وحدهم، دون غيرهم من سكان البلاد المصرية والشامية جميعا.

وأول عهد المقريزي بالخدم الحكومية كأبيه من قبله: (ديوان الإنشاء بالقلعة)، وهو الديوان الّذي يقابله في العصر الحاضر (وزارة الخارجية)، فعمل المقريزي الشاب سنة ١٣٨٨ م موقعًا - أي كاتبًا - وهي وظيفة لا يبلغها وقتذاك سوى أصحاب الموهبة والمعرفة والتفوق في اللغة والأدب والتاريخ. ثم تعين المقريزي نائبا من نواب الحكم، أي: قاضيًا عند قاضي قضاة الشافعية بسبب ما اشتهر عنه من الحماسة للمذهب الشافعيّ منذ أيام دراسته، وتحوله عن مذهب الحنفية الّذي نشأ فيه، ثم صار المقريزي إمام الجامع الحاكم الفاطمي، وهي وظيفة في ذلك العصر.

وتولى المقريزي بعد ذلك وظيفة مدرس للحديث بالمدرسة

المؤيدية، وهي وظيفة يقابلها في المصطلح الجامعي في العصر الحاضر (أستاذ ذو كرسي).

- وربما كان تعيين أحمد المقريزي في تلك الوظيفة التعليمية بتوصية خاصة من أستاذه (عبد الرحمن بن خلدون) لدى صديقه (السلطان برقوق).

ثم انتقل المقريزي من التدريس إلى الحسبة حين عينه (السلطان برقوق) سنة ١٣٩٨ م محتسبًا للقاهرة والوجه البحري، فانتقل بذلك من دائرة الإدارة والاختلاط بمختلف طبقات المجتمع، ذلك أن وظيفة المحتسب التي يقابلها في الوقت الحاضر عدة وظائف وزارية شملت وقت ذاك النظر في الأسعار الجارية، وأحوال النقود، وضبط الموازين والمكاييل والمقاييس، ومراقبة الآداب العامة ونظافة الشوارع، وتنظيم حركة المرور، مع الإشراف على المدارس والمدرسين والطلاب، والعناية بالمساجد والحمامات والوكالات، فضلا عن مراقبة أصحاب الصناعات الفنية من الأطباء، والصيادلة، والمعلمين (أي المهندسين المعماريين).

ويضاف إلى هذه الواجبات الكثيرة الداخلة في اختصاص المحتسب أحوال الباعة الجائلين، والمتعيشين، والشحاذين، والمتعطلين الذين كانوا خطرا دائما على الأمن.

ويتضح من ضخامة هذه الوظيفة ومسؤوليتها أن أحمد بن على المقريزي الّذي تعين عليها بأمر (السلطان برقوق)، لا بدّ أنه اشتهر وقتذاك بالكفاية والدقة في الإدارة والأمانة في تطبيق الأحكام الشرعية.

غير أنه لم يلبث أن تنحى عن هذه الوظيفة مرتين في عامين متتالين، إذ ضاق بمسؤوليتها التي شغلت وقته ليلا ونهارا، وصرفته عن القراءة، وتطلبت منه الجلوس في دكة المحتسب - (بوابة المتولي الحالية) - للفصل في شكاوى السوق والسوقة، وتوقيع

عقوبات على المخالفين، وإصدار الأوامر إلى العرفاء والأعوان والنقباء، مع العلم بأن وظيفة (محتسب القاهرة) شملت الوجه البحري كله.

مؤلفات المقريزي:

ترك المقريزي - رحمه الله - مؤلفات عديدة، في مجال التاريخ، والأنساب، والعقائد، والفقه، والأدب، والعلوم البحتة، زادت على نحو مائتي مجلد كبار في مكتبات العالم، أو المثبت عنواناته لدى من ترجم له، أو اعتني بالفهرسة العامة للمؤلفات العربية، ويمكن إجمال مؤلفاته على النحو التالي:

١ - (اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء):

أرخ فيه المقريزي للدولة الفاطمية منذ قيامها في المغرب العربيّ، وحتى سقوطها في مصر، مترجما لخلفائها، مشيرا من خلال ترجماتهم إلى الحوادث الواقعة في زمانهم، وقد انتظمتها عدة حوليات متتابعة، مقدما لترجماتهم بالحديث عن أولاد على بن أبي طالب وأعقابهم، مع تحقيق نسب الخلفاء الفاطميين، والتعريف بنشأة دولتهم في المغرب العربيّ، ومذيلاً عليها بالتعريف برسوم دولتهم في مصر، وما عابه الفقهاء والمؤرخون عليهم، فضلا عما صار إليه أمر أهليهم وذويهم، بعد سقوط دولتهم في مصر.

نشره بالقاهرة المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، فيما بين سنتي (١٩٦٧)، (١٩٧٣)، في ثلاثة أجزاء بتحقيق الدكتور جمال الدين الشيال، والدكتور محمد حلمي عبد الهادي.

٢ - (أخبار قبط مصر):

وهو في تاريخ الأقباط، مستخرج من كتاب (المواعظ والاعتبار).

نشره هماكر بأمستردام سنة (١٨٢٤)، ونشره وستنفيلد بغوطا سنة (١٨٤٥).

٣ - (الإخبار عن الأعذار):

عالج المقريزي من خلاله موضوعا تاريخيا اجتماعيا، يدور حول ما يقام من ولائم في البناء (الزواج)، والختان. ذكره السخاوي في (الضوء اللامع): ٢/ ٢٢.

٤ - (إزالة التعب والعناء في معرفة الحال في الغناء):

ذكره ابن تغري بردي في (المنهل الصافي): ١/ ٣٩٨، السخاوي في (الضوء اللامع): ٢/ ٢٣، منه نسخة في دار الكتب (فهرس الخديوية): ٧/ ٥٦٤، ونسخة بالمكتبة الوطنية بباريس.

٥ - (الإشارة والإيماء في حل لغز الماء):

وهو رسالة لطيفة الحجم، كتبها المقريزي يوم الثلاثاء، لأربع عشر ليلة خلت من المحرم سنة (٨٢٣ ه، ١٤٢٠ م) على سبيل التسلية، مستعرضا من خلالها معارفه الأدبية، واللغوية والبلاغية، والفقهية، والعلمية البحتة، وهي تدور حول حل (تفسير) لغز الماء. لكن يعيب هذا المؤلف ما تخلل مادته من التسليم ببعض الخرافات ومستغربات الحدوث، مع احتوائه على بعض المعاني المستغلقة، بعيدة المرمى، تحتاج إلى إيضاح.

توجد منه عدة نسخ خطية، في مسودتين، تحتفظ بهما مكتبة جامعة القاهرة، تحت رقمي (٢٢٠٧٥) و(٢٦٢٤٧) ضمن مجموع رسائل المقريزي - رحمه الله - ومنه نسخة في دار الكتب المصرية (فهرس الدار): ٣/ ١٢، ونسخة في مكتبة نور العثمانية في استامبول برقم (٤٩٣٧/ ٠١٥).

٦ - (الإشارة والإعلام ببناء الكعبة البيت الحرام):

أو تاريخ بناء الكعبة ذكره المقريزيّ - رحمه الله - في (الذهب المسبوك): ٢٦. منه نسخة خطية في دار الكتب الظاهرية بدمشق، وهي بخط المؤلف برقم (٤٨٠٥)، وليدن برقم (٩٤٣).

٧ - (إغاثة الأمة بكشف الغمة):

وهي رسالة لطيفة الحجم، فرغ المقريزيّ - رحمه الله - من تأليفها في المحرم سنة (٨٠٨ هـ، ١٤٠٥ م) كما ذكره هو في (إغاثة الأمة): ٤٣، ٨٦، على أثر المجاعات والكوارث الاقتصادية، التي لحقت بمصر فيما بين عامين (٧٩٦ هـ)، (٨٠٨ هـ) عارضًا من خلالها لما حل بمصر من غلاء، وما ترتيب عليه من مجاعات أو كوارث مجيحة فيما قبل نشوء الإسلام وبعده، حتى سنة ثمان وثمانمائة للهجرة، محصيًا منها ستًّا وعشرين حادثة، خصّ مصر الإسلامية منها عشرين، وردت على سبيل التمثيل لا الحصر وقد أشير من خلالها إلى أن فيها ما هو أشدّ وأنكى من المحن المعاصرة، معللاً لهذه المحن بأسباب طبيعية، كقصور جري النيل في مصر، وعدم نزول المطر في الشام، والعراق، والحجاز، وما يصيب الغلال من الآفات وسمائم الرياح.

وأخرى غير طبيعية، ترجع إلى سوء تدبير ولاة الأمور، وتتحصر في أمور ثلاثة، هي:

١ - ولاية الخطط السلطانية والمناصب الدينية بالرشاء.

٢ - غلاء إيجار الأطيان الزراعية على مبلغ ما تغله الأرض من محصول.

٣ - رواج الفلوس النحاسية.

وفي هذا العامل الأخير يكمن لب المشكلة وحلها في رأي المقريزيّ - رحمه الله - ولذا صرف جل اهتمامه إليه، مستطردا منه إلى ثلاثة موضوعات، هي:

١ - النقد الإسلامي، وتطور سك العملة، وأثره في النظام النقدي في مصر.

٢ - نشأة الفلوس المضروبة من النحاس الأحمر في مصر، وتراجع الدراهم المضروبة من الذهب لعدم ضربها، وسبكها حليا.

٣ - أسعار النقد (ذهبا وفضة)، وبعض السلع الرئيسية من المحاصيل الزراعية.

لكن شاب هذه الرسالة - كذلك - تسليم المقريزيّ - رحمه الله - من خلال مادتها بكثير مما جاء في مصادره من المبالغات، أو مستغربات الحدوث، في مصر والشام. ومن ذلك إشارته إلى نطق ثور جبة عسال - قرية من قرى دمشق بالشام -.

منه نسخة خطية في دار الكتب المصرية (فهرس الدار): ٥/ ٣٦، ونسخة خطية في مكتبة نور العثمانية برقم (٤٩٣٧/ ١).

نشره في القاهرة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ط ٢، ١٩٥٧ م، بتحقيق الدكتور محمد مصطفى زيادة، والدكتور جمال الدين الشيال.

٨ - (الإلمام بأخبار من بأرض الحبشة من ملوك الإسلام):

هو رسالة لطيفة الحجم، كتبها المقريزي - رحمه الله - أثناء مجاورته في مكة سنة تسع وثلاثين وثمانمائة (١٤٣٥ - ١٤٣٦ م)، مرتبا لها على مقدمة، وثلاثة فصول، وخاتمة قصيرة جدا، اقتصر فيها على الصلاة والتسليم.

منه نسخ خطية في: مكتبة جامعة ليدن برقم (٩٩٢)، (٩٩٣)، مكتبة نور العثمانية برقم (٤٩٣٧/ ١١)، دار الكتب المصرية برقم (٥٠٠) (فهرس الدار): (٥/ ٣٨) مكتبة باريس، نسخة تاريخها (٨٤١ هـ). وظهرت لهذا الكتاب طبعتان: نشره رينك، ليدن، سنة (١٧٩٠م)، نشر في القاهرة سنة (١٣١٣ هـ).

٩ - (إمتاع الأسماع بما للرسول من الأنباء والأموال والحفدة والمتاع):

وهو مؤلف مطول في سيرة الرسول ﷺ، جمع مادته من مصادر رئيسية ومتعددة، محررا فيه الخلاف حول كثير من الوقائع، مع العناية بتحقيق الكثير من المسائل الفقهية المتصلة بحوادث السيرة، حدّث به المقريزيّ في مكة، أثناء مجاورته فيها سنتي (٨٣٤ هـ)

(١٤٣١ م)، (٨٣٩ هـ) (١٤٣٦ م).

توجد منه نسخ خطية محتفظ بها في مكتبة كوبريللي - تركيا برقم (١٠٠٤)، كتبت في شوال سنة (٨٣٩ هـ/ ١٥٦١ م)، كوبريللي زاده محمد باشا كتابخانه سند محفوظ، صحيفة (٦٦) وهي في جزء واحد ضخم، تقع في ستة أجزاء ضخمة، ضمت (٩١٩) ورقة، مقاسها ٢٧ ٤٠ سم، ومسطرتها نحو ٣٥ سطرا، وعنها مصورتي: دار الكتب المصرية في القاهرة، برقم (٨٨٦) تاريخ، ومعهد إحياء المخطوطات العربية في القاهرة، برقم (٦٣) تاريخ، لكن عدد صفحاتها (١٨٣٩) صفحة نسخة بمكتبة غوطا برقم (١٨٣٠)، وهي في ستة أجزاء، وهي ناقصة، وقد أنكر أمناء مكتبة غوطا أن تكون في ستة أجزاء، نسخة في مكتبة ليدن، برقم (٨٧١)، وهي نسخة صغيرة ناقصة جدا، كما توجد نسخة أخرى في خزانة عموجة حسين باشا في الآستانة، برقم (٣٥٤) طبع الجزء الأول منه بتحقيق الأستاذ محمود محمد شاكر، القاهرة (١٩٤١)، على نفقة السيدة قوت القلوب الدمرداشية. ثم طبع نفس الجزء مصورا على الأوفست في دولة قطر بإشراف الشيخ عبد الله الأنصاري. ثم طبع الجزء الأول مرة أخرى، نشرته دار الأنصار بالقاهرة (١٩٨١)، ثم أعيد نشر الكتاب كاملاً بالمقدمة والفهارس في سبعة عشر مجلدًا، نشرته دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، (١٩٩٨).

١٠ - (الأوزان والأكيال الشرعية):

وهي رسالة في الموازين والمكاييل، منها نسخة خطية في: مكتبة ليدن، برقم (١٠١٤)، دار الكتب المصرية، (فهرس الخديوية): (٥/ ١٨٦).

نشرها تيكس، روستوك بألمانيا سنة (١٧٩٧ م)، (١٨٠٠ م).

١١ - (البيان المفيد في الفرق بين التوحيد والتلحيد):

منه نسختان خطيتان في ليدن، (فهرس أمين المدني) برقم ١٨٨،

وهي بخط المؤلف، دار الكتب المصرية، (فهرس الخديوية): ٧/ ٥٦٥، لكن جاء في فهرس المخطوطات المصورة بمعهد المخطوطات العربية بالقاهرة، أن هذه المخطوطة تصنيف أحد علماء المائة الثامنة الهجرية، وأن المقريزي - رحمه الله - ناسخها فقط، (فهرس المخطوطات المصورة):١/ ١١٩، عمود ٢.

١٢ - (البيان والإعراب عما بأرض مصر من الأعراب):

هي رسالة لطيفة الحجم، كتبها المقريزي - رحمه الله - سنة (٨٤١ هـ / ١٤٣٧ م) مشيرًا من خلالها إلى القبائل العربية التي دخلت مصر مع الفتح العربيّ، وأماكن وجودها في عصره، مقررًا أن العرب الذين شهدوا فتح مصر قد أبادهم الدهر، وجهلت أكثر أعقابهم، وقد بقيت من العرب بقايا بأرض مصر حضرت لديه ست عشرة قبيلة، وهي ثعلبة، وجرم، وسنيس، وجذام وبني هلال، وبلى وجهينة، وقريش، وكنانة والأنصار، وعوف، وفزارة، ولواته، ولخم، وحرام، وبني سليم، غير مرتب لها على حروف المعجم، ولا على أصول الأنساب: (قحطانية وعدنانية)، أو بحسب منازلهم في مصر، فأتت أشبه شي ء بمذكرات كتبت على عجل، وعلي غير نظام واضح.

منه نسخة خطية في: دار الكتب المصرية (فهرس الدار): ٥/ ٦٤، مكتبة جامعة كمبرج، برقم (١٥٧)، مكتبة نور العثمانية، برقم (٤٩٣٧/ ١٠)، مكتبة ليدن، برقم (٩٧٥)، المكتبة الوطنية في باريس، برقم (١٧٢٥)، مكتبة فينة برقم (٩١٠). ظهرت لهذا الكتاب طبعتان:

نشره وستنفلد، غوطا سنة (١٨٤٧ م)، نشر في القاهرة سنة (١٣٣٤ هـ)، ثم أعاد نشره محققًا الدكتور عبد الحميد عابدين، القاهرة، عالم الكتب، ط ١ سنة ١٩٦١، مع دراسة عن تاريخ العروبة في وادي النيل.

١٣ - (التاريخ الكبير المقفى في تاريخ أهل مصر والواردين عليها):

هو معجم تأريخي ضخم، أتي في ست عشرة مجلدة، ترجم المقريزي - رحمه الله - فيه لمشاهير أهل مصر، فيما قبل الإسلام وبعده حتى وقته، على اختلاف طبقاتهم وأجناسهم، ممن استقروا فيها، أو تحولوا عنها إلى غيرها من البلدان (ميتا محنطا) أو (رأسا مقطوعة)، حيث يقول (لما دخل المعز لدين الله أبو تميم معد إلى القاهرة، كان معه توابيت آبائه: المنصور إسماعيل - هذا - والقائم أبي القاسم محمد، والمهدي عبيد الله، فدفنهم بتربة القصر من القاهرة، فلذلك ذكرته في كتابي هذا). (المقفى): كما ترجم لخلف بن جبير، أحد ثوار المغرب، وقد قتل في المغرب، وطيف برأسه في القيروان، ثم حملت إلى مصر فطيف بها في القاهرة. (المقفى)، أشار المقريزي - رحمه الله - إلى هذا الكتاب في (إمتاع الأسماع): ١٢/ ٢٦٦ بتحقيقنا.

منه نسخة خطية في مكتبة باريس، برقم (٢١٤٤)، بخط المؤلف - رحمه الله - ميونخ برقم (٩٥٧)، ليدن، بأرقام (١٠٣٢)، (١٨٤٧)، (١٨٥١)، تم نشره بتحقيق محمد اليعلاوي، بيروت، الغرب الإسلامي، ط ١، سنة ١٩٨٧.

١٤ - (تاريخ بناء الكعبة):

منه نسخة خطية في: دار الكتب الظاهرية في دمشق، وهي بخط المؤلف، ونسخة في مكتبة ليدن، برقم (٩٤٣)، نسخة بالظاهرية في دمشق، برقم (٤٨٠٥).

١٥ - (تجريد التوحيد المفيد):

هو مؤلف لطيف الحجم، يدور موضوعة حول علم التوحيد، أجمل المقريزي - رحمه الله - الإشارة إليه في مقدمته بقوله وبعد، فهذا كتاب جم الفوائد، بديع الفرائد، ينتفع به من أراد الله والدار الآخرة، سميته: تجريد التوحيد المفيد، والله أسأل العون على العمل

بمنه وكرمه.

وهذا المؤلف على وجازته لم يأت مؤرخنا فيه بموضوع ديني تقليدي، وإنما أحاط فيه إلى جانب ذلك بالتعريف بكثير من الفرق الإسلامية، ذاكرا من خلالها مذاهبها وأدلتها، مناقشا لها.

منه نسخة خطية في مكتبة جامعة القاهرة، برقم (٢٦٢٤٧/ ١١)، مكتبة البلدية بالإسكندرية، برقم (٩٩/ ٦) فنون، ومكتبة نور عثمانية، برقم (٥٩٣٧/ ٠٢)، مكتبة باريس برقم ٠١٢، مكتبة جامعة برنستن (مجموعة كاريت) برقم (٠١٤٩٦)، مكتبة ليدن (هوتسما)، برقم (٩٩٣).

وقد طبع هذا الكتاب في القاهرة سنة (١٣٤٣ هـ)، ثم طبع في المطبعة المنيرية بالقاهرة، سنة (١٣٧٣ هـ) بتحقيق طه الزيني.

١٦ - (التذكرة):

هو مؤلف في التاريخ - كما يوهم ملخصه - أشار إليه ابن تغري بردي في (المنهل الصافي): ١/ ٣٩٨، إلى أنه كمل منه ثمانون مجلدا.

١٧ - (تراجم ملوك المغرب):

احتوى على بعض ترجمات ملوك المغرب العربيّ، وقد يكون مذكرات جمعها المقريزي - رحمه الله - من المصادر للانتفاع بها في بعض مؤلفاته، مقدمة تحقيق (اتعاظ الحنفاء): ١/ ١٤، بتحقيق الدكتور جمال الدين الشيال. فيه أخبار أبي حمو، وأخلافه من ملوك تلمسان.

١٨ - (تلقيح العقول والآراء، في تنقيح، أخبار الجلة الوزراء):

ذكره المقريزي - رحمه الله - في (الخطط): ١/ ٤٤٣، ٢/ ٢٢٣.

١٩ - (جني الأزهار من الروض المعصار):

منه نسخة خطية في مكتبة برلين، برقم (٦٠٤٩)، مكتبة فينه،

برقم (١٢٦٦)، دار الكتب المصرية، (فهرس الدار): ٦/ ٢٥، مكتبة باريس، نسخة تاريخها (٨٤١ هـ).

٢٠ - (حصول الإنعام والمير، في سؤال خاتمة الخير):

هي رسالة لطيفة الحجم، يدور موضوعها حول سؤال العبد ربه - تعالى - أن يختم له ولأخيه المؤمن بخير، مستلهما ذلك من قول يوسف - عليه السلام - مناجيا ربه: تَوَفَّنِي مُسْلِماً وأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ (يوسف: ١٠١).

٢١ - (الخبر عن البشر):

هو مؤلف ضخم، جعله المقريزي - رحمه الله - مدخلا لكتاب (إمتاع الأسماع)، مؤرخا من خلاله للخليقة حتى ظهور الإسلام، هادفا من وراء ذلك إلى التعريف بقبائل العرب، وتمييزها من سائر الأجناس، ليعرف لها حقها من المحبة والإعظام، والتجلة والإكرام لكونه ﷺ هاشميا، قرشيا، عربيا.

قال عنه المقريزي - رحمه الله -: ثم لما رأيت فضل الله على - بما علمني وفهمني - عظيما، ومنته وطوله - بما رزقني من كثرة الإشراف على مقالات الخليقة - جسيما، جعلته كتابا مستقلا، لاتساعه وكثرة فوائده، وشرف أوضاعه، وسميته: (الخبر عن البشر): ورقة ٤ أ، مخطوطة تونس.

وترجع أهمية هذا الكتاب - كذلك - إلى احتوائه - فضلاً عن ذلك - على مادة رئيسية، تكشف عن مفهوم المقريزي - رحمه الله - لموضوع (علم التاريخ)، وأقسامه، وإقراره بفوائده، وتحمسه للدفاع عنه.

ومنه/ نسخة خطية في ليدن، برقم ٠١٠٨٠، ونسخة في مكتبة أياصوفيا في الآستانة، تقع في ستة أجزاء متسلسلة، أرقام (٣٣٦٢) حتى (٣٣٤١)، وتشمل الأجزاء ١، ٤، ٥، ٦ (غير متسلسلة). (دفتر كتب خانة أياصوفيا): ص ٢٠٢، (دفتر فاتح كتبخانه سي): ص

٢٤٨.

٢٢ - (خلاصة التبر في كتاب السر):

أشار إليه المقريزي - رحمه الله - في (الخطط): ٢/ ٦٣.

٢٣ - (درر العقود الفريدة في تراجم الأعيان المفيدة):

هو معجم في ترجمات أعيان عصر المقريزي - رحمه الله - أشار في مقدمته إلى دافعه لتأليفه، قائلا وبعد، فإنّي ما ناهزت من سنى العمر الخمسين، حتى فقدت معظم الأصحاب والأقربين، فاشتد حزني لفقدهم، وتنغص عيشي من بعدهم، فعزيت النفس عن لقائهم بتذكارهم، وعوضتها عن مشاهدتهم باستماع أخبارهم، وأمليت ما حضرني من أنبائهم في هذا الكتاب وسميته (درر العقود الفريدة في تراجم الأعيان المفيدة).

له نسخة في مكتبة غوطا، المجلد الأول منها بخط المؤلف - رحمه الله -، ونسخة في الموصل، لدى الدكتور محمود الجليلي، في جزأين، تاريخهما (٨٧٨ هـ) وعن هذه النسخة الأخيرة تم نشر (٣٠٠) ترجمة - حيث يحتوي الكتاب على (٥٥٦) ترجمة - بعالم الكتب - بيروت سنة (١٤١٢ هـ / ١٩٩٢ م)، بتحقيق الدكتور محمد كمال الدين عز الدين على، بعد تصديره بدراسة وافية عن المؤلف والكتاب بشكل موسوعي يستحق التقدير.

٢٤ - (الدرر المضيئة في تاريخ الدولة الإسلامية):

منه نسخة خطية في كمبرج، برقم (٣٦٥)، أشار إليه السخاوي في (الضوء اللامع): ٢/ ٢٣.

٢٥ - (الذهب المسبوك في ذكر من حج من الخلفاء والملوك):

رسالة لطيفة الحجم يدور موضوعها حول التأريخ لمن حج من الخلفاء والملوك في خلافته أو ملكه، فرغ المقريزي - رحمه الله - من تصنيفها في ذي القعدة سنة (٨٤١ هـ / ١٤٣٨ م)، مرتبا لها

على مقدمة وثلاثة فصول وخاتمة:

- أما المقدمة، فقد أشار فيها إلى تسميته للكتاب، مهديا إياه إلى شخصية كبيرة في عصره، عزمت على الحج، لم يفصح عن اسمها.

- وأما الفصول، فقد أجمل في أولها الإشارة إلى (حجة الوداع)، لكونه ﷺ هو الّذي بين للناس معالم دينهم، مشيرًا من خلال ذلك إلى بعض شعائر الحج والعمرة، كالقران، والتمتع، والهدي.

وجعل ثانيها من حج من الخلفاء في خلافته، مترجما من خلاله بترجمات قصيرة لثلاثة عشر خليفة، مؤرخًا لحجهم.

وجعل ثالثها للترجمة لثلاثة عشر ملكًا أو سلطانًا ممن حج في ملكه أو سلطنته، منذ انقسمت الخلافة الإسلامية إلى دويلات يحكمها ملوك، وحتى عهد الأشرف شعبان - أحد سلاطين المماليك - مع التأريخ لحجهم.

- وأما الخاتمة، فقد أتت مقتضبة للغاية، تبين عن الفراغ من كتابته، وانتهاء مادته، على النحو التالي:

"... والله - سبحانه - هو أعلم بالصواب، وإليه المرجع والمآب، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم - والحمد لله رب العالمين.

منه له نسخة خطية في: مكتبة الاسكوريال (في إسبانيا)، برقم (١٧٧١)، مكتبة كمبرج، برقم (٤٤٢)، (٤٤٣)، مكتبة نور عثمانية، برقم (٦/ ٤٩٣٧).

٢٦ - (رسالة في حرص النفوس على الذكر):

رسالة لطيفة الحجم، أنشأها المقريزي - رحمه الله - هادفا من خلالها إلى الترغيب في عمل الخير، مقدما لموضوعه بقوله:

".. وبعد فهذه مقالة لطيفة، وتحفة سنية شريفة، في حرص النفوس الفاضلة على بقاء الذكر، أسأل الله - تعالى - أن يجعل لنا

ثناء حسنا في الصالحين، وأن يحبونا بالزلفى إلى يوم الدين بمنه وكرمه.

متبعا ذلك بموضوع الكتاب، وقد أشار من خلال مادته إلى أن البقاء من أعظم وأحسن صفات الله - تعالى - في حين ليس للعبد من نفسه إلا العدم، والفاضل هو الّذي يحرص على بقاء ذكره دائما، على النحو الوارد في القرآن الكريم على لسان إبراهيم - عليه السلام - {وَٱجۡعَل لِّي لِسَانَ صِدۡقٖ فِي ٱلۡأٓخِرِينَ ﴿٨٤﴾} [الشعراء: ٨٤].

منه نسخة خطية في: خزانة ولي الدين في الآستانة، ضمن مجموع خطي يشمل خمس عشرة رسالة كلها للمقريزي - رحمه الله - برقم (٣١٩٥) راجع دفتر كتابخانه. ولي الدين، صحيفة (١٩٥)، مكتبة جامعة القاهرة برقم (١١/ ٢٦٢٤٧). وقد نشره في القاهرة الخانجي سنة (١٩٥٥) بتحقيق الدكتور جمال الدين الشيال.

منه نسخة خطية في خزانة ولي الدين في الآستانة، وقد جاء في (تاريخ آداب اللغة العربية) لجورجي زيدان: ٣/ ١٨٧، أن اسم هذا المخطوط: (مقالة لطيفة في حرص النفوس الفاضلة على بقاء الذكر)، وأنه محفوظ في المتحف البريطاني في لندن.

٢٧ - (السلوك في معرفة دول الملوك):

منه نسخة خطية في: دار الكتب المصرية (فهرس الدار): ٥/ ١٢٩، المكتبة الظاهرية بدمشق، مجلد رقم (٧٣٠٤)، مكتبة كوبريللي برقم (١١٣٧)، مكتبة بني جامع (ضمن المكتبة السليمانية في استامبول)، برقم (٨٨٧)، مكتبة باتنا في الهند، برقم ١/ ١٦٦ (٢٢٢٣)، مكتبة غوطا، برقم (١٦٢٠)، (١٦٢١)، مكتبة باريس، برقم (١٧٢٦)، (١٧٢٨)، مكتبة الفاتيكان، (٥/ ٧٢٥)، مكتبة جستربتي في دبلن، (فيها المجلد الثامن منه) برقم (٤١٠٢)، مكتبة المتحف البريطاني، الذيل: (٤٨٠).

طبع هذا الكتاب بكماله في القاهرة في أربعة أجزاء على النحو

التالي:

- الجزء الأول في ثلاثة أقسام، بتحقيق محمد زيادة (١٩٣٤-١٩٣٩).

- الجزء الثاني في ثلاثة أقسام، بتحقيق محمد زيادة (١٩٤١-١٩٥٨).

- الجزء الثالث في ثلاثة أقسام، بتحقيق سعيد عاشور (١٩٧٠ - ١٩٧٢).

- الجزء الرابع في ثلاثة أقسام، بتحقيق سعيد عاشور (١٩٧٢ - ١٩٧٣).

٢٨ - (شارع النجاة):

أشار السخاوي في (الضوء اللامع): ٢/ ٢٣، إلى أنه يشتمل على جميع ما اختلفت فيه البشر من أصول ديانتهم وفروعها، مع أدلتها، وتوجيه الحق منها، ذكره المقريزي - رحمه الله - في (الذهب المسبوك)، ٥، ٧.

٢٩ - (شذور العقود في ذكر النقود):

رسالة لطيفة الحجم، انقسمت إلى مقدمة وخاتمة، فيما بينها ثلاثة فصول.

- أما المقدمة فقد أشار فيها إلى موضوع الكتاب: " نبذة لطيفة في أمور النقود الإسلامية ". وأنه أنشأه تلبية (للأمر العالي) الّذي يرجح أن يكون شخصية كبيرة في بلاط المؤيد (شيخ المحمودي).

- وأما الفصل الأول فقد جعله للحديث عن (النقود القديمة)، التي كانت على وجه الدهر، وجعل الفصل الثاني للتعريف ب (النقود الإسلامية) - نشأتها وتطورها - وجعل الفصل الثالث للحديث عن (النقود المصرية)، وهو في هذه الفصول الثلاثة يشير إلى أنواع النقود، وأوزانها، وأعيرتها، وزيوفها، وما حدث فيها من التغيير

والتبديل، على اختلاف عصورها.

منه نسخة خطية في: مكتبة نور العثمانية، برقم (٤٩٣٧)، مكتبة برلين، برقم (٦٠٢٤)، مكتبة ليدن، برقم (١٠١٢)، (١٠١٣)، مكتبة كمبرج، برقم (٤٧٥)، مكتبة الأسكوريال، برقم (١٧٧١).

وقد ظهرت لهذا الكتاب طبعات مختلفة:

- نشرها تيكسن في روستك (١٧٩٧ م).

- نشرها أحمد فارس الشديقان، مطبعة الجوائب استامبول، (١٢٩٨هـ)، ضمن ثلاث رسائل.

- نشرها ماير، الإسكندرية (١٩٣٣).

- نشرها محمد آل بحر العلوم، النجف (١٩٣٨) ثم توالت طبعات لهذا الكتاب في النجف، فكانت الخامسة سنة (١٩٦٧).

- نشرها الأب أنستاس ماري الكرملي، ضمن كتابه (النقود العربية وعلم النميات، القاهرة (١٩٣٩ م).

٣٠ - (ضوء الساري في معرفة خبر تميم الداريّ):

رسالة لطيفة الحجم، يدور موضوعها حول صحابي جليل، هو (تميم بن أوس الداريّ) - رحمه الله - وكان نصرانيًّا، جاء الرسول ﷺ، ورأى الرسول ﷺ وأسلم، وروي الرسول ﷺ عنه حديث (الجساسة والمسيخ الدجال)، فانفرد هو من دون الصحابة بذلك، وكانت روايته ﷺ من باب رواية (الفاضل عن المفضول، والمتبوع عن تابعه)، وقد استعرض المقريزي - رحمه الله - من خلال مادتها الحديث عن أنساب الناس وأنساب العرب، وقدوم وفد الداريين على رسول الله ﷺ وإسلام تميم، وتحديثه - عليه السلام - عنه، وإقطاعه إياه قريتي (جبرون وعينون)، ولم يكن فتحهما حدث بعد!! وما كان من أحوال تميم في الجاهلية والإسلام، معددا لمآثره، مؤرخا لوفاته بسنة أربعين للهجرة، مناقشا من خلال تلك الرسالة (قضية الهبة)،

مناقشة فقهية قضائية، مختتما لها بالتعريف بما آل إليه مصير (حبرون وعينون) حتى وقته.

له نسخة خطية في خزانة ولي الدين بالآستانة. تم طبع هذا المخطوط تحت اسم (ضوء الساري في خبر تميم الداريّ)، بتحقيق الأستاذ محمد أحمد عاشور، في دار الاعتصام بالقاهرة وبيروت، سنة (١٣٩٢ هـ)، اعتمادًا على نسختين خطيتين: الأولى منقولة من الخزانة الوليدية في الآستانة - لعلها نفس خزانة ولي الدين آنفة الذكر - ويدل على ذلك الرقم الّذي بينه المحقق، فهو نفس رقم المجموع الّذي منه (ضوء الساري)، والأخرى منقولة عن المكتبة الأهلية في باريس.

٣١ - (الطرفة الغريبة في أخبار وادي حضرموت العجيبة):

رسالة لطيفة الحجم، استفاد المقريزي - رحمه الله - مادتها في مكة، أثناء مجاورته فيها سنة (٨٣٩ هـ / ١٤٣٦ م) من بعض القادمين عليه من أهل حضرموت، ابتدأها بمقدمة موجزة، أشار فيها إلى ذلك قائلا: " وبعد، فهذه جملة من اخبار وادي حضرموت، علقتها بمكة - شرفها الله تعالى - أيام مجاورتي بها في عام (تسعة وثلاثين وثمانمائة)، حدثني بها ثقات من قدم مكة من أهل حضرموت ".

ثم أتبعها بوصف جغرافي موجز لبلاد حضرموت، وما تردد في بعض المصادر من الاختلاف في نسب (حضرموت)، وما شهرت به هذه البلاد من مزروعات أو حيوان (كالماشية والإبل)، مذيلا عليها بطائفة كبيرة من الروايات الشفهية، المتضمنة الكثير من الخرافات أو مستغربات الحدوث، مما وثق مؤرخنا به، كنحو قوله:

" وفي جبال ظفار قوم يقال لهم: القمر، أهل بادية، وقد جرت العادة في ظفار أنها تمطر ثلاثة أشهر متوالية ليلا ونهارا، مطرا غزيرا جدا فإذا أراد أحد أن يسافر في مدة المطر إلى جهة من

الجهات، طلب واحدا من القمر، ودفع له مالا ليدفع عنه المطر، ثم سار معه والمطر نازل، فيصير عن يمينه وشماله ولا يصيبه هو ولا أحماله منه قطرة واحدة، حتى يبلغ حيث يريد.

له نسخة خطية في مكتبة جستربتي - برقم (٤١١٨/ ٠٢)، مكتبة نور العثمانية، برقم (٤٩٣٧/ ٤)، مكتبة ليدن، برقم (٨١٠)، مكتبة كمبرج، برقم (٦٥٤)، (٦٥٥)، معهد المخطوطات العربية في الكويت، برقم (٧٧٦/ ٠٢)، المصورة عن مخطوطة (شستربتي)، ومخطوطة ولي الدين في مصورتها المحتفظ بها لدى جامعة القاهرة، برقم (٢٦٢٤٧)، وقد نشرها (نوسكوى) مع ترجمة لاتينية في بون سنة (١٨٦٦).

٣٢ - (عجائب تيمور).

٣٣ - (عقد جواهر الأسفاط في أخبار مدينة الفسطاط):

أشار إليه المقريزي - رحمه الله - في صدر كتابه (اتعاظ الحنفاء):١/ ٤ بقوله: " ضمنته ما وقفت عليه، وأرشدني الله - سبحانه - إليه من أحوال مدينة الفسطاط، منذ افتتح أرض مصر أصحاب رسول الله ﷺ وصارت دار إسلام، إلى أن قدمت جيوش الإمام المعز لدين الله أبي تميم معد من بلاد المغرب، مع عبده وقائده وكاتبه، أبي الحسين جوهر القائد الصقلي، في سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة، ونزلت في شمالي الفسطاط بالمناخ، وأسس مدينة القاهرة، وحل بها "، كما ذكره أيضا في (السلوك): ١/ ٢٨.

وقد اشتمل هذا المؤلف على فترة من تاريخ مصر الإسلامية، امتدت فيما بين الفتحين الإسلامي والفاطمي لها.

٣٤ - (قرض سيرة المؤيد لابن ناهض):

ذكره السخاوي في (الضوء اللامع): ٢/ ٢٣.

٣٥ - (ما شاهده وسمعه مما لم ينقل في كتاب):

يبدو أنه احتوى على كثير من النوادر التاريخية وغير التاريخية، مما عايشه المقريزي - رحمه الله - أو أخبر به، على النحو المدرك من قول السخاوي: "... ومن أعجب ما فيه أنه كان في رمضان سنة (إحدى وتسعين وسبعمائة) مارا بين القصرين، فسمع العوام يتحدثون أن الظاهر برقوق خرج من سجنه بالكرك، واجتمع عليه الناس. قال: فضبطت ذلك اليوم فكان كذلك. (الضوء اللامع): ٢/ ٢٥ - ٢٤.

٣٦ - (مجمع الفرائد ومنبع الفوائد):

ذكره السخاوي، مشيرا إلى أنه مؤلف علمي يشتمل على العقل والنقل، المحتوي على فني الجد والهزل، بلغت مجلداته نحو المائة، بينما أشار ابن تغري بردي إلى أنه كمل منه نحو ثمانين مجلدًا كالتذكرة.

(الضوء اللامع): ٢/ ٢٣، (المنهل الصافي): ١/ ٣٩٨.

٣٧ - (مختصر الكامل في معرفة الضعفاء والمتروكين من الرواة لابن عدي):

منه نسخة خطية بخط المقريزي - رحمه الله - مؤلف هذا المختصر، كتبها سنة (٧٥٩ هـ)، وهي في مكتبة مراد ملا باستامبول، برقم (٥٦٩)، وعنها مصورة معهد إحياء المخطوطات العربية في القاهرة، برقم (٤٥٦) تاريخ. أشار إليه المقريزي - رحمه الله - في (إمتاع الأسماع): ١١/ ٣١١.

٣٨ - (معرفة ما يجب لآل البيت النبوي من الحق على من عداهم):

رسالة لطيفة الحجم، يدور موضوعها حول ما يجب لآل البيت النبوي على المسلمين من حبهم وإجلالهم، ونصرتهم ومودتهم، فرغ المقريزي - رحمه الله - من تأليفها في ذي القعدة سنة (٨٤١ هـ / ١٤٣٨ م) مرتبا لها على مقدمة، أشار فيها إلى دافعه إلى تأليفها قائلا:

"... وبعد فإنّي لما رأيت أكثر الناس في حق آل البيت مقصرين، وعما لهم من الحق معرضين، ولمقدارهم مضيعين،

وبمكانتهم من الله - تعالى - جاهلين، أحببت أن أقيد في ذلك نبذة تدل على عظم مقدارهم، وترشد المتقي لله - تعالى - على جليل أقدارهم ليقف عند حده، ويصدق بما وعدهم الله ومن به عليهم من صادق وعده ".

تتبعها فصول خمسة، شارحة من خلال أقوال أئمة اللغة والتفسير لخمس آيات قرآنية، مع ما أتصل بها من الأحاديث النبويّة، عالج موضوعة من خلالها، وهي قوله تعالى:

-{إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا } [الأحزاب: ٣٣].

-{وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ} [الطور: ٢١].

-{وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِى ٱلْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا} [الكهف: ٨٢].

-{جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ} [الرعد: ٢٣].

-{قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ} [الشورى: ٢٣].

مختتما لهذه الرسالة بعدد من الرؤى والحكايات الشفهية - التي أمده بها شيوخه ورفقته - وتدور كلها حول الحث على حب آل البيت النبوي وتعظيمهم.

منه نسخة خطية في فينه، برقم (٨٩٠). طبع في دار الاعتصام، ط ٢ سنة ١٩٧٣ م بالقاهرة وبيروت بتحقيق محمد أحمد عاشور.

٣٩ - (المقاصد السنية في معرفة الأجسام المعدنية):

مؤلف علمي بحت يبحث في المعادن، أشار المقريزي - رحمه الله - من خلاله إلى كروية الأرض، وحركتها، وإحاطة الماء باليابسة من سائر جهاتها، والأجسام المتولدة عليها، وتكويناتها، وصفاتها، وأمكنة وجودها، والقيمة العلمية والمادية والطبية لها.

ومنه نسخة خطية في مكتبة نور عثمانية، برقم (٤٩٣٧/ ٩)،

ومكتبة باريس، نسخة تاريخها (٨٤٢ ه)، مكتبة كمبرج، برقم (١٠٨٢)، مكتبة جامعة القاهرة، برقم (٢٦٢٤٧/ ١٠).

٤٠ - (منتخب التذكرة في التاريخ):

مؤلف في التاريخ الإسلامي العام، اقتصر فيه المقريزي - رحمه الله - على ذكر العرب والفرس، دون غيرهم من الأمم المطيفة بهم في أطراف الأرض، اختصره من مؤلف أبسط منه سماه (التذكرة)، فكان ما أودعه في هذا المؤلف اللب منه.

منه نسخة خطية في: دار الكتب المصرية، (فهرس الدار): (٥/ ٣٦٨)، مكتبة باريس برقم (١٥١٤) عرب، ونسخة أخرى بدار الكتب المصرية، برقم (١٦٥٨)، تاريخ عن مخطوطة مكتبة باريس ذات الرقم (١٥١٤) عرب، وتقع في نحو ١٦٦ ورقة لطيفة الحجم، مزدوجة الصفحات، باستثناء أولها وآخرها، مسطرتها نحو أربعة عشر سطرا.

٤١ - (المنتقى من أخبار مصر لابن ميسر):

يضم الفترة فيما بين سنتي (٤٣٩ هـ / ١٠٤٧ م)، (٥٥٣ هـ / ١١٥٩ م)، انتقاه المقريزي - رحمه الله - في ربيع الأول للآثار الشرقية سنة (٨١٤ هـ / ١٤١١ م).

طبع في القاهرة - المعهد الفرنسي للآثار الشرقية سنة (١٩٨١) بتحقيق أيمن فؤاد سيد.

٤٢ - (المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار):

وتعرف بخطط المقريزي:

منها نسخة خطية في: دار الكتب المصرية، (فهرس الخديوية): (١/ ١٦٢)، المكتبة العمومية بدمشق، الأرقام (٣٤٣٧)، (٥٦٩٦)، (٥٦٩٧)، (٧٠٠٤)، مكتبة أياصوفيا باستامبول، الأرقام (٣٤٧١)، (٣٤٨٤)، مكتبة طوب قبو سراي باستامبول، الأرقام

(٢٩٤٧)، (٢٩٥٤)، مكتبة محمد الفاتح باستامبول برقم (٤٤٩٥)، (٤٤٩٩).. وغير ذلك.

طبع في مجلدين، بولاق (١٢٧٠ هـ)، وقد أعادت مكتبة المثنى ببغداد طبعه بالأوفست، طبع في أربعة أجزاء، مطبعة النيل - القاهرة (١٣٢٤ - ١٣٢٦ هـ)، طبعت منه خمسة أجزاء بتحقيق المستشرق الآثاري فييت، القاهرة (١٩١١ - ١٩٢٧) ولم تتم.

وظهرت لهذا الكتاب طبعات جزئية، نذكر منها:

- أخبار قبط مصر، وقد سبقت الإشارة إليه.

- (القول الإبريزي للعلامة المقريزي)، نشره مينا إسكندر، وهو يتضمن تاريخ الأقباط وأحوالهم - نقلا عن (خطط المقريزي).

٤٣ - (نبذ تاريخية):

ليس مؤلفا مستقلا - على ما يبدو - ولكنه ملتقطات مما جمعه المقريزي - رحمه الله - من المصادر، ليضمنه بعض مؤلفاته.

منه نسخة خطية بمكتبة بلدية الإسكندرية برقم (٢١٢٥ د/ ٢٥٩)، تقع في (٥٢) ورقة مقاسها نحو (١٣ ١٦ سم)، وعنها مصورة معهد إحياء المخطوطات العربية في القاهرة برقم (٨٤٥) تاريخ.

٤٤ - (نحل عبر النحل):

رسالة لطيفة الحجم، يدور موضوعها حول النحل، وما يتخلف منه من عسل وشمع، مستلهما منه العبرة والعظة لبني الإنسان، وقد رتبت على مقدمة وعشرة فصول وخاتمة.

أما المقدمة فقد أشار فيها إلى موضوع الكتاب قائلا: (... وبعد، فهذا قول وجيز في ذكر النحل، وما أودع فيه البارئ - جلت قدرته - من غرائب الحكمة وعجائب الصنع، ليعتبر أولو الأبصار، ويتذكر أرباب الاعتبار) وأما الفصول - فقد اتصلت بعلوم: الحيوان، واللغة،

والتفسير، والحديث، والفقه، والطب، والبيطرة، والنبات، والاقتصاد، والتاريخ، والأدب، فيجمل المقريزي - رحمه الله - فيها الحديث عن النحل من الناحية الحيوانية، ذاكرا أسماءه، وألوانه، وأحجامه، وصفاته، وخلاياه، وآفاته، وعلاجها، وعسله، وأنواعه وأصنافه - وجامعه، (مشتاره) وآلاته التي يستعين بها في جمعه، وما يرعاه النحل من أزهار وأنوار، وما ينتجه من شمع، مفصحا عن مركزه الاقتصادي في مصر الإسلامية، وما ورد في النحل والعسل من الآيات القرآنية، والأحاديث النبويّة، وأقوال الحكماء، والفقهاء والمفسرين، وما اتصل بالشمع من الحوادث التاريخية، سواء بالاستصباح (الإضاءة) به لدى الخلفاء، والسلاطين، والفقهاء، أو باستخدامه في القصور، والمواكب السلطانية، وحفلات العرس والزواج، أو بالختم به على تركات الموتى من أولاد الخلفاء، مختتما بذلك بما أنشئ في (الشمع) من أشعار وأما الخاتمة فقد أشار فيها إلى انتهاء مادة الكتاب باكتماله، قائلا:

(... تمت بحمد الله وعونه وحسن توفيقه، وصلى الله على سيدنا محمد، وعلي آله وصحبه، وسلم تسليما كثيرا دائما إلى يوم الدين، سُبْحانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ وسَلامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ والْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعالَمِينَ " منه نسخة خطية في: مكتبة نور عثمانية برقم (٤٩٣٧/ ٠٣)، مكتبة كمبرج، برقم (٦٦٤)، (٩٢٣)، مكتبة جستربتي في دبلن، برقم (٤١١٨/ ٠٢)، وقد طبع في القاهرة، مكتبة الخانجي، سنة (١٩٤٦) بتحقيق د. جمال الدين الشيال.

٤٥ - (النزاع والتخاصم فيما بين بني أمية وبني هاشم):

رسالة لطيفة الحجم، يدور موضوعها حول استئثار بني أمية وبني هاشم بالخلافة من دون (علي بن أبي طالب) وبنيه، أشار المقريزي - رحمه الله - من خلالها إلى ما كان من منافرة ومنافسة بين بني أمية وبني هاشم قبل الإسلام وبعده.

منه نسخة خطية في: دار الكتب المصرية، (فهرس الدار) ٥/ ٣٨٥، المكتبة الظاهرية بدمشق، برقم (٣٧٣١)، مكتبة نور عثمانية، برقم (٤٩٣٧)، ومكتبة ستر اسبورج، مكتبة ليدن، برقم (٨٨٥)، مكتبة فينة، برقم (٨٨٦) وقد طبع هذا الكتاب مرتين:

الأولى في ليدن، نشره فوس، سنة (١٨٨٨)، والثانية في القاهرة سنة (١٩٢٧) ثم طبع عدة طبعات آخرها بدار المعارف - القاهرة - سنة (١٩٨٨) بتحقيق الدكتور حسين مؤنس. وقد أشار إليه المقريزي - رحمه الله - في (إمتاع الأسماع): ١٢/ ٣٥٥.

٤٦ - (النحل وما فيه من غرائب الحكمة):

منه نسخة خطية في مكتبة جامعة كمبرج، راجع (تاريخ آداب اللغة العربية) جورجي زيدان، ٣/ ١٧٨، فقرة ١٢.

٤٧ - (نهاية الجمع لأخبار القراءات السبع):

أشار إليه المقريزي - رحمه الله - في (إمتاع الأسماع): ١٢/ ٣٢ ولم أقف له على مصدر آخر يشير إلى نسخ منه مخطوطة أو مطبوعة.

من هذا العرض الموجز لمجهودات المقريزي - رحمه الله - في الكتابة التاريخية، نجد أنه قد ألح من خلالها على التوكيد على ثلاث صفات امتاز بها، وهي:

(مصريته) و(عروبته) و(إسلامه).

أما مصريته، فتبدو في تحمسه للتأريخ لمصر في أطوارها المختلفة، فيما قبل الإسلام وبعده، حيث أنشأ فيها مؤلفا مجملا، لتاريخها، وخططها، وعمرانها - منذ القدم وحتى وفاته - وهو:

(المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار)، ثم عمد إلى تفصيل أكثر، أجمل فيه بالتأريخ لمصر الإسلامية، منذ الفتح الإسلامي لها وإلى قبيل وفاته، في عدة مؤلفات متتابعة، وهي: (عقد جواهر

الأسفاط) و(اتعاظ الحنفاء) و(السلوك) و(المقفى) وأما عروبته، فقد كانت دافعا قويًّا لديه إلى إنشاء عدة مؤلفات، منها (الخبر عن البشر) و(البيان والإعراب) و(تراجم ملوك المغرب) و(الطرفة الغريبة).

وأما إسلامه، فيتبدى - فضلاً عن العاطفة الدينية الجياشة، المبثوثة في سائر مؤلفاته - في (إمتاع الأسماع)، وقد جعله تاريخًا مجملاً للرسول ﷺ وسيرته، و(النزاع والتخاصم) وهو مبحث في الخلافة، و(التذكرة) و(منتخبها) و(الدرر المضيئة) و(الإمام).

وقد جعل من هذه المؤلفات تاريخًا عامًّا للدولة الإسلامية في مختلف أطوارها وأمصارها. بل إن أكثر رسائله ومؤلفاته الموجزة، المفردة بالتأليف في موضوع بعينه، تنزع إلى أي من هذه الصفات الثلاث [1].

* * *

(١) مقدمة تحقيق كتاب فضل آل البيت عليهم السلام تأليف تقي الدين أحمد بن على المقريزي ٧٦٦ هـ - ٨٤٥ هـ، تحقيق السيد على عاشور، ضيف الله بن يحيى الزهراني.
مصادر السيرة النبوية، طبعة مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة، مقدمة تحقيق كتاب إمتاع الأسماع بما للنبى من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع لتقى الدين أحمد بن على المقريزى (م ٨٤٥).
تحقيق: محمد عبد الحميد النميسى، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعه: الأولى، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.

المقري الأديب صاحب
كتاب نفح الطيب

من مشاهير أعلام المسلمين

المقري الأديب
صاحب كتاب نفح الطيب

هو أحمد بن محمد بن أحمد بن يحيى بن عبد الرحمن بن أبي اليعيش ابن محمد التلمساني المقَّري نسبة إلى مقَّرة من قرى تلمسان. مؤرخ أندلسي وُلِد بتلمسان بالجزائر ونشأ بها، انتقل إلى فاس فكان خطيبها والقاضي بها. وكان كثير الأسفار، زار مصر والشام والحجاز أكثر من مرة. واشتهر بمؤلفه نفح الطيب. وكتابه أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض اتخذ فيه من القاضي عياض نواة حشد حولها المعلومات الأدبية والتاريخية. ولم يكتف بأخبار عصره ومصره، بل استوعب أخبار الأجيال السابقة لجيله.

وكان المقري شديد الإعجاب بشخصيَّة الوزير الغرناطي العالم والأديب لسان الدين بن الخطيب، ومن ثم كان غرضه من هذا المؤلف أن يتناول شخصية ابن الخطيب في كل جوانبها.

وينقسم الكتاب قسمين، وكل قسم في ثمانية أبواب:

فالقسم الأول بأبوابه الثمانية يختص بالأندلس، فيصفها في عمرانها وعاصمتها قرطبة وجامعها والزهراء الناصرية والعامرية، ثم يفرد حديثًا عن الخلافة الأموية بالأندلس وعن قوة الإسلام وسلطانه في شبه الجزيرة الأندلسية.

ونجد في هذا القسم تعريفًا بأعلام الشخصيات الأندلسية، التي

رحلت إلى المشرق لإكمال دراستها أو تلقي العلم. وكانت الرحلة إلى المشرق من متطلبات التكوين العلمي والأدبي لأهل الأندلس، كما يذكر أولئك المشارقة الذين وفدوا على الأندلس من أعلام الأدباء والمفكرين. وهذا القسم مليء بالأخبار الطريفة والأشعار الكثيرة، كما تتنوع تراجم الشخصيات الأندلسية فيه بين ملوك وأمراء وقواد ووزراء وشعراء وكتاب وقضاة وفقهاء وزهاد وغيرهم. وأهم ما يميز هذا القسم غلبة الطابع الأدبي عليه.

أما القسم الثاني بأبوابه الثمانية فمخصص لابن الخطيب، يتحدث فيه المَقَّري عن أصله ونشأته وثقافته ومناصبه ورحلاته، كما يعرض لتلاميذه ومريديه وأصدقائه وندمائه وحاسديه وأعدائه.

وأهمية هذا القسم أنه حفظ قدرًا طيبًا من تراث ابن الخطيب النثري، كما حفظ شعره وموشحاته وأزجاله.

وتعد مقدمة الكتاب من معالم النثر الأدبي للمَقَّري. فهي أقرب ما تكون إلى ما عرف بأدب الرحلة، إذ يتحدث فيها عن رحلته من المغرب إلى مصر، برًّا وبحرًا، ويصف ماعاناه من أهوال الرحلة ثم زيارته للبيت الحرام ووصوله بعد ذلك إلى مصر. وخلال كل ذلك يصف ما اعتراه من شوق وما عاناه من وجد وهو بعيد عن بلده يصطلي بالحنين إليها.

كما تحفل المقدمة بطائفة من الشعر له ولغيره في وصف الوطن وحرقة البعد عنه، حتى أضحت المقدمة سفرًا قيمًا في أدب الرحلة وأدب الديار.

وأسلوب النفح مشرق وجذاب، وإن غلب عليه السجع، ذلك أن المقري كان يتشبه في أسلوبه بلسان الدين ابن الخطيب. كما كانت الاستطرادات، لكثرتها، مشتتة لذهن القارئ، بجانب أن بعض الأخبار تتكرر في أكثر من موضع. ومن إيجابيات الكتاب اعتماد المقري أسلوب الرواية فيما يورده من أخبار، فيرجع كل خبر إلى

أصله وكل شعر إلى مصدره. ويعد نفح الطيب من آخر الموسوعات العربية الكبرى والمتخصصة في التراث الإسلامي الأندلسي؛ لعنايته بالجانب التاريخي السياسي وبأدب الرحلة والبلدان والترجمات وذكر الحروب، كما عكس الأسى والأسف لضياع الأندلس إذ أن الكتاب كتب ومايزال الجرح نازفًا.

السبب وراء تأليف المقري لكتابه نفح الطيب:

١ - إعجابه بلسان الدين بن الخطيب، بحيث يقلده في طريقته الإنشائية ويحفظ الكثير من رسائله وشعره، كان كفيلا بدفعه إلى كتابه مؤلف عنه، وخاصة لإحساسه بالغربة والوحشة اللتين أحس بهما (مثله الأعلى) حينما لجأ إلى المغرب.

٢ - أن مثل هذا الكتاب كان كفيلاً بأن ينفس عنه كربه، ويعود به من خلال أشعار الحنين ومن خلال التاريخ الماضي والقريب إلى وطنه، عودة نفسية وروحية.

٣ - أن المنهج للتأليف في لسان الدين كان سهلاً مفتوح المسارب أمام عينيه؛ لأنه قد مارس مثل هذا المنهج حينما كتب عن القاضي عياض كتاباً سماه (أزهار الرياض).

٤ - أن انفصام آخر الروابط الإسلامية من الأندلس لم يكن قد مضى عليه إلا سنوات، فكانت صورة (المأساة)ما تزال تلح على مخيلة المقري، وكان الربط بين الماضي والحاضر من الأمور التي تعين على التذكر والتذكير والعبرة في آن واحد؛ وكل من قرأ (نفح الطيب) بتأمل، سيشعر بهذه الناحية، ويكفينا مثلاً على ذلك تلك الوقفة الطويلة التي وقفها المقري وهو يستعيد صورة المنصور بن أبي عامر الذي يمثل البطولة العربية بالأندلس في أوجها.

٥ - كان المقري كغيره من المغاربة يحس مدى إهمال المشارقة للتراث الأندلسي والمغربي، وكان ذلك الإهمال في القديم للاعتداد بالثقافة المشرقية، أما في عصر المقري فكان سببه ضعف الثقافة

عامة، وحسبك أن تجد لسان الدين - وهو من هو في المغرب والأندلس - محتاجاً إلى من يعرف المشارقة به ويحدثهم عن أخباره؛ ولهذا وجد المقري أن كتابة مؤلف جامع شامل تحقق هذا الغرض، وكان في البدء يزمع أن يقصره على لسان الدين، ثم وجد أن صورة لسان الدين لا يمكن أن تتضح إلا على محمل من التطور الأدبي والسياسي في الأندلس. وفي الوقت نفسه كان الكتاب يحقق تبيان الصلة الثقافية بين المشرق والمغرب، ولهذا خصص جزءاً كبيراً من كتابه للرحلتين: رحلة المغاربة إلى الشرق ورحلة المشارقة إلى الأندلس والمغرب، وفي هذه الناحية الثانية كان المقري يحس أنه حلقة في تلك السلسلة الطويلة، وكأنه في مقدمة الكتاب وفي بعض فصوله الأخرى سجل طرفاً من رحلة، كما سجل أسلافه من قبل أخبار تنقلاتهم. وبذلك أسعفه مؤلفه هذا على أن يحقق ما قد نسميه (نزعة مغربية) وهي نزعة لا تقتصر على الرحلة وإنما كانت تشمل نقل التراث المغربي الخالص والأندلسي إلى المشارقة.

٦ - كان تأليف نفح الطيب بمثابة وعد كان المقري قد قطعه على نفسه وأنجزه، فقد حدث تلامذته فيها عن لسان الدين ومكانته السياسية والأدبية فأثار في نفوسهم حب الاستطلاع إلى مزيد من البيان عنه، وكان أحمد الشاهيني المدرس بالجقمقية أشدهم إلحاحاً في ذلك، ولهذا نزل المقري عند رغبته، ووعده، وكان في البداية يزمع أن يسميه (عرف الطيب في التعريف بالوزير ابن الخطيب) فلما رأى أن المادة التي اجتمعت لديه قد استفاضت بحيث شملت تاريخ الأندلس وأدبها غير اسم الكتاب وجعله (نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب). وعلى هذا النحو أصبح الكتاب قسمين: قسم خاص بالأندلس عامة وقسم خاص بلسان الدين وما يتعلق به من شؤون. وفي كل قسم من هذين القسمين ثمانية فصول.

وقد طبع النفح عدة طبعات في المشرق كان أولها طبعة بولاق سنة ١٢٧٩، ثم كان آخر الطبعات المشرقية طبعة المكتبة التجارية بإشراف الشيخ محمد محيي الدين عبد الحميد (القاهرة: ١٩٤٩).

- مؤلفات المقري

١ - روضة الآس العاطرة الأنفاس في ذكر من لقيته من أعلام الحضرتين مراكش وفاس.

٢ - أزهار الرياض في أخبار عياض.

٣ - إضاءة الدجنة بعقائد أهل السنة.

٤ - ادحاف المغرم المغرى في شرح السنوسية الصغرى.

٥ - أجوبة على مسائل أرسلها إليه أستاذه محمد بن أبي بكر الدلائي سماها إعمال الذهن والفكر في المسائل المتنوعة الأجناس.

٦ - حاشية على شرح أم البراهين للسنوسي.

٧ - عرف النشق من أخبار دمشق.

٨ - شرح مقدمة ابن خلدون.

٩ - قطف المهتصر في شرح المختصر، شرح على حاشية مختصر خليل.

١٠ - فتح المتعال في مدح النعال.

١١ - وكان المقري قد ختم كتابه السابق برجز في النعال الشريفة ثم أفرده في نسخة بعث بها إلى شيخه الدلائي ولعله المسمى " النفحات العنبرية في نعل خير البرية ".

١٢ - وللمقري أراجيز كثيرة أخرى منها " أزهار الكمامة في شرف العمامة ".

١٣ - والدر الثمين في أسماء الهادي الأمين.

١٤ - ورجز " نيل المرام المغتبط لطالب المخمس الخالي الوسط".

١٥ - البلدة والنشأة.

١٦ - الغث والسمين والرث والثمين.

١٧ - حسن الثنا في العفو عمن جنى.

١٨ - الأصفياء.

١٩ - الشفاء في بديع الاكتفاء.

٢٠ - القواعد السرية في حل مشكلات الشجرة النعمانية.

٢١ - النمط الأكمل في ذكر المستقبل.

٢٢ - أرجوزة في الإمامة.

٢٣ - نظم في علم الجدول.

٢٤ - وذكر في النفح أنه كان يزمع تأليف كتاب في تلمسان يسميه: (أنواء نيسان في أنباء تلمسان) ويبدو أنه لم يحقق ذلك.

٢٥ - شرح له على قصيدة (سبحان من قسم الحظوظ).

٢٦ - ونسبت له المصادر كتاب (الجمان من مختصر أخبار الزمان).

٢٧ - رسالة (إتحاف أهل السيادة بضوابط حروف الزيادة).

٢٨ - وأخيراً كتاب (نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب) موضوع الاختصار.

وفيما كان يزمع الهجرة من مصر ليستوطن الشام، وافته منيته في جمادى الآخرة سنة ١٠٤١ هـ.

* * *

الإمام الطبري

من مشاهير أعلام المسلمين

الإمام الطبري

في بلاد (طبرستان).. بلاد العلم والأدب والفقه، وفي أجمل مدنها.. مدينة (آمُل) العريقة عاصمة طبرستان، والتي تقع الآن في دولة أذربيجان، جنوب بحر قزوين، وُلد حجَّة العلوم، وعالم العلماء في عصره، الإمام (محمد بن جرير الطبري)سنة ٢٢٤هـ، ولُقب بالطبري لأن أهل طبرستان جميعًا يُنْسَبون إليها؛ فيقال لكل واحد منهم: طبري، فكان أهل طبرستان كثيري الحروب، فكان كل منهم يحمل سلاحه في يده، وهو نوع من الأشجار يسمى (الطبر).

لم يكد الطبري يبلغ السن التي تؤهله للتعلم حتى عهد به والده إلى علماء (آمُل) وسرعان ما تفتح عقله، وبدت عليه علامات النبوغ، فكان هذا النبوغ المبكر حافزًا لأبيه على إكمال تعليم ابنه، وبخاصة أنه رأى رؤية تفاءل من تأويلها، قال الطبري: (رأى أبي في النوم أنني بين يدي رسول الله ﷺ، ومعي مِخلاة مملوءةٌ بالأحجار، وأنا أرمي بين يديه) وقصَّ رؤياه على مفسر للأحلام، فقال له: إن ابنك إن كبر نصح في دينه، ودافع عن شريعته، فحرص أبي على معونتي من أجل طلب العلم وأنا حينئذ صبي صغير.

أخذ ابن جرير الطبري يرحل في طلب العلم، فتعلم الفقه ببغداد، والمغازي والسير في الكوفة، ثم توجه ناحية مصر، وفي طريقه إليها مرَّ ببيروت، وقضى بها عدة أيام حتى قرأ القرآن برواية الشاميين، ثم واصل مسيرته، وفي مصر تلقى الطبري العلم، فأخذ من علمائها قراءة (حمزة) (وَوَرْش) ثم عاد إلى بغداد مرة أخرى،

وانقطع للعلم والدراسة والتأليف في كثير من الأوقات، وكان يتاجر بقية الوقت ليأتي برزقه.

وكان الطبري عالي الهمة،عظيم الاجتهاد؛ ومما يحكى عنه: أن رجلاً جاءه يسأله في العَرُوض (وهو علم يعرف به الشعر من النثر) ولم يكن الطبري له إلمام كبير بهذا العلم فقال له: على قولٌ ألا أتكلم اليوم في شيء من العروض، فإذا كان في غد فتعالَ إلى، ثم طلب أبو جعفر كتاب العروض، فتدارسه في ليلته، وقال: أمسيت غير عَرُوضي، وأصبحت عروضيًّا.

وقد تمكن ابن جرير من نواحي العلم، وأدلى بدلوه فيها، حتى أصبح إمام عصره بغير منازع، وقد قيل عنه: كان كالقارئ الذي لا يعرف إلا القرآن، وكالمحدث الذي لا يعرف إلا الحديث، وكالفقيه الذي لا يعرف إلا الفقه، وكالنحوي الذي لا يعرف إلا النحو.. وظل الطبري أربعين عامًا يكتب كل يوم أربعين ورقة، قاصدًا بذلك وجه الله، بما ينفع به الإسلام والمسلمين، وكان رحمه الله من العباد الزهاد، يقوم الليل، نظيفًا في ظاهره وباطنه، ظريفًا، حسن العشرة، مهذبًا في جميع أحواله.

مؤلفات الطبري:

كان الطبري من أكثر علماء عصره نشاطا في التأليف، أشهر مؤلفاته تفسيره المعروف (بتفسير الطبري)، وكتاب " تاريخ الأمم والملوك " روي عنه أنه قال: استخرت الله وسألته العون على ما نويته من تصنيف التفسير قبل أن أعمله ثلاث سنين فأعانني [1].

قال الحاكم: وسمعت أبا بكر بن بالويه يقول: قال لي أبو بكر بن خزيمة: بلغني أنك كتبت التفسير عن محمد بن جرير، قلت: بلى كتبته عنه إملاء. قال: كله؟ قلت: نعم. قال: في أي سنة؟ قلت: من

(١) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ٢٩٥/١١.

سنة ثلاث وثمانين ومائتين إلى سنة تسعين ومائتين. قال: فاستعاره مني أبو بكر ثم رده بعد سنين، ثم قال: لقد نظرت فيه من أوله إلى آخره وما أعلم على أديم الأرض أعلم من محمد بن جرير [١].

قال أبو محمد الفرغاني: تم من كتب محمد بن جرير كتاب التفسير الذي لو ادعى عالم أن يصنف منه عشرة كتب كل كتاب يحتوي على علم مفرد مستقصى لفعل [٢].

وتم من كتبه " كتاب التاريخ " إلى عصره وتم أيضا كتاب " تاريخ الرجال من الصحابة والتابعين وإلى شيوخه الذين لقيهم " وتم له كتاب " لطيف القول في أحكام شرائع الإسلام " وهو مذهبه الذي اختاره وجوده واحتج له، وهو ثلاثة وثمانون كتابا وتم له كتاب " القراءات والتنزيل والعدد " وتم له كتاب " اختلاف علماء الأمصار " وتم له كتاب " الخفيف في أحكام شرائع الإسلام " وهو مختصر لطيف وتم له كتاب " التبصير " وهو رسالة إلى أهل طبرستان يشرح فيها ما تقلده من أصول الدين، وابتدأ بتصنيف كتاب " تهذيب الآثار " وهو من عجائب كتبه ابتداء بما أسنده الصديق مما صح عنده سنده وتكلم على كل حديث منه بعلله وطرقه ثم فقهه واختلاف العلماء وحججهم وما فيه من المعاني والغريب والرد على الملحدين فتم منه مسند العشرة وأهل البيت والموالي وبعض مسند ابن عباس فمات قبل تمامه. قلت هذا لو تم لكان يجيء في مائة مجلد، قال وابتدأ بكتابه " البسيط " فخرج منه كتاب الطهارة فجاء في نحو من ألف وخمسمائة ورقة لأنه ذكر في كل باب منه اختلاف الصحابة والتابعين وحجة كل قول وخرج منه أيضا أكثر كتاب الصلاة وخرج منه آداب الحكام وكتاب المحاضر والسجلات و" كتاب ترتيب العلماء " وهو من كتبه النفيسة ابتدأه بآداب النفوس وأقوال الصوفية

(١) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ٢٩٤/١١.
(٢) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ٢٩٤/١١.

ولم يتمه وكتاب " المناسك " وكتاب " شرح السنة " وهو لطيف بين فيه مذهبه واعتقاده وكتابه " المسند المخرج " يأتي فيه على جميع ما رواه الصحابي من صحيح وسقيم ولم يتمه ولما بلغه أن أبا بكر بن أبي داود تكلم في حديث غدير خم عمل كتاب " الفضائل " فبدأ بفضل أبي بكر ثم عمر وتكلم على تصحيح حديث غدير خم واحتج لتصحيحه ولم يتم الكتاب.

وقال بعض العلماء: لو سافر رجل إلى الصين حتى يحصل تفسير محمد بن جرير لم يكن كثيرا.

أسلوبه في التأليف:

يقول أحمد بن خلكان: " لأبي جعفر في تأليفه عبارة وبلاغة فمما قاله في كتاب الآداب النفيسة والأخلاق الحميدة القول في البيان عن الحال الذي يجب على العبد مراعاة حاله فيما يصدر من عمله لله عن نفسه، قال: إنه لا حالة من أحوال المؤمن يغفل عدوه الموكل به عن دعائه إلى سبيله والقعود له رصدا بطرق ربه المستقيمة صادا له عنها كما قال لربه عز ذكره؛ إذ جعله من المنظرين{لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ} [الأعراف: ١٦ - ١٧] طمعا منه في تصديق ظنه عليه إذ قال لربه:{لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلًا} [الإسراء: ٦٢] فحق على كل ذي حجى أن يجهد نفسه في تكذيب ظنه وتخييبه منه أمله وسعيه فيما أرغمه ولا شيء من فعل العبد أبلغ في مكروهه من طاعته ربه وعصيانه أمره ولا شيء أسر إليه من عصيانه ربه واتباعه أمره فكلام أبي جعفر من هذا النمط وهو كثير مفيد ".

وروي عن أبي سعيد الدينوري مستملي ابن جرير " أخبرنا أبو جعفر محمد بن جرير الطبري بعقيدته فمن ذلك وحسب امرئ أن يعلم أن ربه هو الذي على العرش استوى فمن تجاوز ذلك فقد خاب وخسر وهذا تفسير هذا الإمام مشحون في آيات الصفات بأقوال السلف على الإثبات لها

لا على النفي والتأويل وأنها لا تشبه صفات المخلوقين أبدا" [1].

ثناء العلماء عليه:

قال أبو سعيد بن يونس: محمد بن جرير من أهل آمل كتب بمصر ورجع إلى بغداد وصنف تصانيف حسنة تدل على سعة علمه.

وقال الخطيب البغدادي: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب كان أحد أئمة العلماء يُحكم بقوله، ويُرجع إلى رأيه لمعرفته وفضله، وكان قد جمع من العلوم ما لم يشاركه فيه أحد من أهل عصره فكان حافظًا لكتاب الله، عارفًا بالقراءات، بصيرًا بالمعاني، فقيها في أحكام القرآن، عالما بالسنن وطرقها صحيحها وسقيمها وناسخها ومنسوخها عارفا بأقوال الصحابة والتابعين، عارفا بأيام الناس وأخبارهم. وكان من أفراد الدهر علما وذكاء وكثرة تصانيف قل أن ترى العيون مثله.

مواقف من حياته:

قيل: إن المكتفي أراد أن يحبس وقفا تجتمع عليه أقاويل العلماء فأحضر له ابن جرير فأملى عليهم كتابا لذلك فأخرجت له جائزة فامتنع من قبولها فقيل له: لا بد من قضاء حاجة قال: اسأل أمير المؤمنين أن يمنع السؤال يوم الجمعة ففعل ذلك وكذا التمس منه الوزير أن يعمل له كتابا في الفقه فألف له كتاب الخفيف فوجه إليه بألف دينار فردها.

وروي عن محمد بن أحمد الصحاف السجستاني، سمعت أبا العباس البكري يقول: جمعت الرحلة بين ابن جرير وابن خزيمة ومحمد بن نصر المروزي ومحمد بن هارون الروياني بمصر فأرملوا ولم يبق عندهم ما يقوتهم وأضر بهم الجوع فاجتمعوا ليلة في منزل كانوا يأوون إليه فاتفق رأيهم على أن يستهموا ويضربوا القرعة فمن خرجت عليه

(١) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ٢٩٥/١١.

القرعة سأل لأصحابه الطعام فخرجت القرعة على ابن خزيمة فقال لأصحابه أمهلوني حتى أصلي صلاة الخيرة قال: فاندفع في الصلاة فإذا هم بالشموع ورجل من قبل والي مصر يدق الباب ففتحوا، فقال: أيكم محمد بن نصر؟ فقيل: هو ذا فأخرج صرة فيها خمسون دينارا فدفعها إليه ثم قال: وأيكم محمد ابن جرير، فأعطاه خمسين دينارا، وكذلك للروياني وابن خزيمة ثم قال: إن الأمير كان قائلا بالأمس فرأى في المنام أن المحامد جياع قد طووا كشحهم فأنفذ إليكم هذه الصرر، وأقسم عليكم إذا نفذت فابعثوا إلى أحدكم.

وقال أبو محمد الفرغاني في ذيل تاريخه على تاريخ الطبري قال: حدثني أبو على هارون بن عبد العزيز أن أبا جعفر لما دخل بغداد وكانت معه بضاعة يتقوت منها فسرقت فأفضى به الحال إلى بيع ثيابه وكمي قميصه فقال له بعض أصدقائه: تنشط لتأديب بعض ولد الوزير أبي الحسن عبيد الله بن يحيى بن خاقان قال: نعم فمضى الرجل فأحكم له أمره وعاد فأوصله إلى الوزير بعد أن أعاره ما يلبسه فقربه الوزير ورفع مجلسه وأجرى عليه عشرة دنانير في الشهر فاشترط عليه أوقات طلبه للعلم والصلوات والراحة وسأل استلافه رزق شهر ففعل وأدخل في حجرة التأديب وخرج إليه الصبي وهو أبو يحيى فلما كتبه أخذ الخادم اللوح ودخلوا مستبشرين فلم تبق جارية إلا أهدت إليه صينية فيها دراهم ودنانير فرد الجميع وقال قد شرطت على شيء فلا آخذ سواه فدرى الوزير ذلك فأدخله إليه وسأله فقال: هؤلاء عبيد وهم لا يملكون فعظم ذلك في نفسه.

وكان ربما أهدى إليه بعض أصدقائه الشيء فيقبله ويكافئه أضعافا لعظم مروءته. وكان ممن لا تأخذه في الله لومة لائم مع عظيم ما يلحقه من الأذى والشناعات من جاهل وحاسد وملحد فأما أهل الدين والعلم فغير منكرين علمه وزهده في الدنيا ورفضه لها وقناعته رحمه الله بما كان يرد عليه من حصة من ضيعة خلفها له

أبوه بطبرستان يسيرة، وكان ينشد لنفسه:

إذا أعسرت لم يعلم رفيقي ::: وأستغني فيستغني صديقي
حيائي حافظ لي ماء وجهي ::: ورفقي في مطالبتي رفيقي
ولو أني سمحت بماء وجهي ::: لكنت إلى العلى سهل الطريق
وله خلقان لا أرضى فعالهما ::: بطر الغنى ومذلة الفقر
فإذا غنيت فلا تكن بطرا ::: وإذا افتقرت فتِهْ على الدهر

قال أبو القاسم بن عقيل الوراق: إن أبا جعفر الطبري قال لأصحابه: هل تنشطون لتاريخ العالم من آدم إلى وقتنا؟ قالوا: كم قدره؟ فذكر نحو ثلاثين ألف ورقة، فقالوا: هذا مما تفنى الأعمار قبل تمامه فقال: إنا لله ماتت الهمم فاختصر ذلك في نحو ثلاثة آلاف ورقة، ولما أن أراد أن يملي التفسير قال لهم نحوا من ذلك ثم أملاه على نحو من قدر التاريخ[1].

وكان الطبري لا يقبل المناصب خوفا أن تشغله عن العلم من ناحية، ولأن من عادة العلماء البعد عن السلطان من ناحية أخرى، فقد روى المراغي قال: لما تقلد الخاقاني الوزارة وجه إلى أبي جعفر الطبري بمال كثير فامتنع من قبوله، فعرض عليه القضاء فامتنع، فعرض عليه المظالم، فأبى فعاتبه أصحابه، وقالوا: لك في هذا ثواب، وتحيي سنة قد درست وطمعوا في قبوله المظالم، فذهبوا إليه ليركب معهم لقبول ذلك، فانتهرهم، وقال: قد كنت أظن أني لو رغبت في ذلك لنهيتموني عنه قال فانصرفنا خجلين.

وفاته:

قال أبو محمد الفرغاني: حدثني أبو بكر الدينوري قال: لما كان وقت صلاة الظهر من يوم الاثنين الذي توفي في آخره ابن جرير طلب ماءً ليجدد وضوءه فقيل له: تؤخر الظهر تجمع بينها وبين

(١) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ١١/٢٩٤ - ٢٩٧.

العصر، فأبى وصلى الظهر مفردة والعصر في وقتها أتم صلاة وأحسنها، وحضر وقت موته جماعة منهم: أبو بكر بن كامل، فقيل له قبل خروج روحه: يا أبا جعفر أنت الحجة فيما بيننا وبين الله فيما ندين به فهل من شيء توصينا به من أمر ديننا وبينة لنا نرجو بها السلامة في معادنا، فقال: الذي أدين الله به وأوصيكم هو ما ثبت في كتبي فاعملوا به وعليه وكلامًا هذا معناه، وأكثر من التشهد، وذكر الله عز وجل، ومسح يده على وجهه، وغمض بصره بيده، وبسطها وقد فارقت روحه الدنيا.

قال أحمد بن كامل: توفي ابن جرير عشية الأحد ليومين بقيا من شوال سنة عشر وثلاث مئة ودفن في داره برحبة يعقوب يعني ببغداد قال: ولم يغير شيبة، وكان السواد فيه كثيرا، وكان أسمر أقرب إلى الأدمة (السواد) أعين، نحيف الجسم، طويلا، فصيحا، وشيعه من لا يحصيهم إلا الله تعالى.

حقيقة تشيع الطبري!!

نود أن نثبت أن الذي أثار هذه التهمة قديماً هو الحافظ أحمد بن على السليماني وهو الذي صرح أن الطبري يضع الحديث للروافض وإزاء تلكم المقولة قال الحافظ أبو حيان: إن ابن جرير إمام من أئمة الشيعة الإمامية. وقبل أن نتحدث عن معطيات وأسباب هذا الاتهام أود أن نثبت رأي علماء الجرح والتعديل يدلون بشهادتهم لتستبين حقيقة هذه التهمة:

قال الحافظ أبو الوفاء الحلبي الطرابلسي ت ٨٤١هـ:

" محمد بن جرير الطبري الإمام المفسر أبو جعفر شيخ الإسلام وصاحب التصانيف الباهرة توفي سنة عشر وثلاثمائة ثقة صادق فيه تشيع وموالاة لاتضر أقذع أحمد بن على السليماني الحافظ فقال: كان

يضع للروافض " [1].

وقال الحافظ المؤرخ شمس الدين الذهبي ت٧٤٨هـ:

" محمد بن جرير بن يزيد الطبري الإمام الجليل المفسر أبو جعفر صاحب التصانيف الباهرة، ثقة صادق، فيه تشيع يسير وموالاة لا تضر. أقذع أحمد بن على السليماني الحافظ، فقال: كان يضع للروافض كذا قال السليماني. وهذا رجم بالظن الكاذب، بل إن ابن جرير من كبار أئمة الإسلام المعتمدين، وما ندعي عصمته من الخطأ، ولايحل لنا أن نؤذيه بالباطل والهوى، فإن كلام العلماء بعضهم في بعض ينبغي أن يتأنى فيه ولاسيما في مثل إمام كبير " [2].

لكن كيف يتهم إمام حافظ مثل السليماني على جلالة قدره لابن جرير الطبري؟! فما أدلته على هذه التهمة؟!

يجيب على هذه الشبهة أيضاً الحافظ شمس الدين الذهبي:

" فلعل السليماني أراد الآتي: محمد بن جرير بن رستم أبو جعفر الطبري رافضي له تواليف منها كتاب الرواة عن أهل البيت رماه بالرفض عبد العزيز الكتاني " [3].

أما الحافظ ابن حجر العسقلاني ت٨٥٢هـ، فيقول عن الطبري: " محمد بن جرير بن يزيد الطبري الإمام الجليل المفسر صاحب التصانيف الباهرة مات سنة عشر وثلاث مائة، ثقة صادق فيه تشيع يسير وموالاة لاتضر أقذع أحمد بن على السليماني الحافظ، فقال: كان يضع للروافض كذا قال السليماني وهذا رجم بالظن الكاذب بل ابن جرير من كبار أئمة الإسلام المعتمدين وما ندعي عصمته من

(١) أبو الفواء الحلبي الطرابلسي، الكشف الحثيث، مكتبة النهضة العربية، بيروت، ٢٢١/١.

(٢) الذهبي، ميزان الاعتدال، دار الكتب العلمية، بيروت، ٩٠/٦.

(٣) الذهبي، ميزان الاعتدال، دار الكتب العلمية، بيروت، ٩٠/٦.

الخطأ ولا يحل لنا أن نؤذيه بالباطل والهوى، فإن كلام العلماء بعضهم في بعض ينبغي أن يتأنى فيه، ولا سيما في مثل إمام كبير مثل السليماني، فلعل السليماني أراد (محمد بن جرير بن رستم أبو جعفر) ولو حلفت أن السليماني ما أراد إلا (محمد بن جرير بن رستم أبو جعفر) لبررت، والسليماني حافظ متقن كان يدري ما يخرج من رأسه فلا أعتقد أنه يطعن في مثل هذا الإمام بهذا الباطل، والله أعلم.

وقد اغتر شيخ شيوخنا أبو حيان بكلام السليماني فقال في الكلام على الصراط في أوائل تفسيره وقال: أبو جعفر الطبري وهو إمام من أئمة الإمامية. ونبهت عليه لئلا يغتر به فقد ترجمه أئمة النقل في آلاف[1] وبعده فلم يصفوه بذلك، وإنما ضره الاشتراك في اسمه واسم أبيه ونسبه وكنيته ومعاصرته وكثرة تصانيفه " [2].

وهذه شهادة الحافظ أحمد بن على أبي بكر الخطيب البغدادي ت٤٦٣هـ يترجم للطبري ترجمة مطولة في تاريخه نختار منها:

قال الشيخ أبو بكر " استوطن الطبري بغداد، وأقام بها الى حين وفاته وكان أحد أئمة العلماء يحكم بقوله، ويرجع الى رأيه لمعرفته وفضله، وكان قد جمع من العلوم ما لم يشاركه فيه أحد من أهل الآلاف، وكان حافظًا لكتاب الله عارفًا بالقراءات بصيراً بالمعاني، فقيهًا في أحكام القرآن، عالمًا بالسنن وطرقها صحيحها وسقيمها وناسخها ومنسوخها، عارفًا بأقوال الصحابة والتابعين ومن بعدهم من الخالفين في الأحكام، ومسائل الحلال والحرام، عارفًا بأيام الناس وأخبارهم، وله الكتاب المشهور في تارخ الأمم والملوك وكتاب في التفسير لم يصنف أحد مثله، وكتاب سماه تهذيب الآثار لم أر سواه في معناه إلا أنه لم يتمه وله في أصول الفقه وفروعه كتب كثيرة واختيار من أقاويل الفقهاء وتفرد بمسائل حفظت عنه وسمعت على بن عبيد الله بن عبد الغفار اللغوي

(١) الألاف: بتشديد اللام الذين يؤلفون الكتب.

(٢) ابن حجر العسقلاني، لسان الميزان، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ١٠٠/٥.

المعروف بالسمسماني.

يحكى أن محمد بن جرير مكث أربعين سنة يكتب في كل يوم منها أربعين ورقة، وبلغني عن أبي حامد أحمد بن أبي طاهر الفقيه الإسفرائيني أنه قال: لو سافر رجل الى الصين حتى يحصل له كتاب تفسير محمد بن جرير لم يكن ذلك كثيرا، أو كلاما هذا معناه أخبرنا القاضي أبو عبد الله محمد قال: ثنا على بن أحمد بن الصناع عبيد الله بن أحمد السمسار وأبي أن أبا جعفر الطبري قال لأصحابه: أتنشطون لتفسير القرآن؟ قالوا: كم يكون قدره؟ فقال: ثلاثون ألف ورقة، فقالوا: هذا مما تفنى الأعمار قبل تمامه، فاختصره في نحو ثلاثة آلاف ورقة، ثم قال: هل تنشطون لتاريخ العالم من آدم الى وقتنا هذا؟ قالوا: كم قدره؟ فذكر نحواً مما ذكره في التفسير فأجابوه بمثل ذلك، فقال: إنا لله ماتت الهمم "[1].

في ضوء ماسبق نستطيع أن نخلص بالنتائج التالية:

- لا نستطيع أن نجزم اتهام الحافظ العلامة ابن جرير الطبري مما هو منسوب إليه من تهمة الرفض والتشيع ووضع أحاديث لمصلحة أهل البيت.

- قد يكون الحافظ السليماني اختلط عليه الأمر حيث ظن أن الشيعي أبا جعفر محمد بن جرير بن رستم هو نفسه أبو جعفر بن جرير الطبري صاحب التاريخ والتفسير.

- أما الرجل الآخر الذي يتفق اسمه وكنيته ولقبه مع ابن جرير السني يقول عنه الحافظ ابن حجر: " محمد بن جرير بن رستم أبو جعفر الطبري رافضي له تواليف منها كتاب الرواة عن أهل البيت، رماه بالرفض عبد العزيز الكتاني انتهى، وقد ذكره أبو الحسن بن بابويه في تاريخ الري بعد ترجمة محمد بن جرير الإمام، فقال: هو

(١) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٦٢/٢ وما بعدها.

الآملي قدم الري وكان من جلة المتكلمين على مذهب المعتزلة وله مصنفات روى عنه الشريف أبو محمد الحسن بن حمزة الرعيني وروى أيضا عن أبي عثمان المازني وجماعة وعنه أبو الفرج الأصبهاني في أول ترجمة ابن الأسود من كتابه وذكر شيخنا في الذيل بما تقدم أولا وكأنه سقط من نسخته أراد الآتي بعد لعل السليماني الى آخره وكأنه لم يعلم بان في الرافضة من شاركه في اسمه واسم أبيه ونسبه وإنما يفترقان في اسم الجد ولعل ما حكي عن محمد بن جرير الطبري من الاكتفاء في الوضوء بمسح الرجلين إنما هو هذا الرافضي فإنه مذهبهم " [1].

(د) الطبري من أئمة علماء أهل السنة بشهادة علماء الجرح والتعديل وصيارفة الإسلام في علم أحوال الرجال كالذهبي وابن حجر والبغدادي والطرابلسي وغيرهم.

(هـ) أما أنه كان فيه تشيع يسير وموالاة لأهل البيت لا تضر.. لايعني ذلك أن الرجل كان يميل إلى عقيدة الشيعة بالمعنى الإنحرافي؛ فالطبري شأنه شأن بعض العلماء الذين يوالون علياً رضي الله عنه في خلافه مع معاوية رضي الله عنه فقط. وهذه النعوت كان يستخدمها بعض علماء أهل السنة كابن قتيبة فكان يقول عن الرجل أو الراوي: إنه شيعي، بمجرد الموالاة لعلي بن أبي طالب وآل بيته دون الحط من منزلة الشيخين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، ودون أن يستتبع ذلك غلو أو سب في عموم الصحابة، فإذا تجاوز هذا الحد إلى درجة الغلو فهنا يتحول المصطلح من شيعي إلى رافضي، وهم خارجون على منهج أهل السنة والجماعة. هذا هو المقصود من مصطلح شيعي قديماً أما بعد تطور هذا المصطلح عقب العصور المختلفة في تاريخ الإسلام فقد تغير مدلوله الآن وصار مصطلحاً يتناقض ومنهج أهل السنة، ومن ثم فلا يتصور أن يستخدم

(١) لسان الميزان، ١٠٣/٥.

هذا المصطلح في وقتنا الحاضر بغية نعت أحد علماء أهل السنة بحجة أنه يوالي علياً رضي الله عنه وآل البيت؛ لأن كلمة شيعي الآن لها دلالة تختلف عن معناها الاصطلاحي قديماً.

حقيقة اتهام الطبري أنه كان يروي عن بعض الرواة الضعفاء المتهمين لدى علماء الجرح والتعديل كأبي مخنف ومحمد بن السائب الكلبي وابنه هشام وغيرهم.

مما لا شك فيه أن الطبري روى عن أبي مخنف وابن الكلبي؛ ولنا وقفة مع هؤلاء الإخباريين بعد أن نلقي الضوء على أهم المصادر التي استند عليها الطبري في تاريخه:

الأول: تاريخ الطبري يبدأ منذ بدء الخليقة حتى أحداث سنة ٣٠٢هـ.

الثاني: مصادر الطبري في تاريخ الرسل والأنبياء ابن إسحاق وكتب وهب بن منبه.

الثالث: في تاريخ العرب قبل الإسلام على مرويات عبيد بن شرية ومحمد بن كعب القرظي وهشام الكلبي وابن إسحاق أيضاً.

الرابع: وفي السيرة النبوية استند إلى مرويات أبان بن عثمان وعروة ابن الزبير وموسى بن عقبة وعاصم بن عمر والزهري وابن إسحاق وشرحبيل بن سعد.

الخامس: مصادره عن حروب الردة عن مرويات سيف بن عمر والمدائني.

السادس: أما مصادره في معركتي الجمل ٣٦هـ، وصفين ٣٧هـ فعلى مرويات أبي مخنف، ومحمد بن السائب وابنه هشام الكلبي، وسيف بن عمر.

السابع: ومصادره عن الدولة الأموية من مرويات عوانة بن الحكم وأبي مخنف والواقدي وابن الكلبي وعمر بن شبة.

الثامن: مصادره عن العصر العباسي على مرويان أحمد بن أبي خيثمة وابن ززهير والمدائني وعمر بن راشد والهيثم بن عدي والواقدي.

نلاحظ أنه لم يعتمد على مرويات أبي مخنف وابني الكلبي فقط، بل إنه قد نوع مصادره كما هو واضح. لكن أخطر مصادره بحق هي مرويات أبي مخنف عن موقعتي الجمل وصفين؛ لأن هناك تزويراً وتلفيقاً وسباً يخلص المرء بعد قراءته لهاتين الموقعتين أن الصحابة رضوان الله عليهم كانوا مجموعة من أصحاب الدنيا الذين يتقاتلون على ملك زائل يشتم بعضهم بعضاً، ويسب بعضهم بعضاً، وصحابة رسول الله براء من هذه المرويات الكاذبة التي رواها أبو مخنف وابنا الكلبي، ومن ثم لزام علينا أن نلقي الضوء على هؤلاء الإخباريين:

أما أبو مخنف لوط بن يحيى ت١٥٧هـ:

يقول عنه ابن حجر العسقلاني: " إخباري تالف لا يوثق به تركه أبو حاتم وغيره، وقال الدارقطني: ضعيف. وقال يحيى بن معين: ليس بثقة، وقال مرة: ليس بشيء. وقال ابن عدي: شيعي محترق. وقال أبو عبيد الآجري: سألت أبا حاتم عنه، فنض يده وقال: أحد يسأل عن هذا وذكره في الضعفاء " (١).

وقال فيه الحافظ عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي ت٢٧٢هـ: " قرئ على العباس بن محمد الدوري، قال سمعت يحيى بن معين يقول: أبو مخنف ليس بثقة، نا عبد الرحمن قال: سمعت أبي يقول: متروك " (٢).

وقال الحافظ أبو أحممد عبد الله بن عدي ت٢٦٥هـ: " معروف بكنيته، واسمه حدث بأخبار من تقدم من السلف الصالحين ولايبعد

(١) لسان الميزان، ٤٩٣/٤.

(٢) عبد الرحمن بن أبي حاتم، الجرح والتعديل، دار إحياء التراث، بيروت، ١٨٢/٧.

منه أن يتناولهم، وهو شيعي محترق صاحب أخبارهم " [١].

أما عن محمد بن السائب الكلبي ت١٤٦هـ:

يقول الذهبي: " العلامة الإخباري أبو النضر محمد بن السائب بن المفسر، وكان أيضا رأسا في الأنساب، إلا أنه شيعي متروك الحديث يروي عنه ولده هشام وطائفة " [٢].

وقال الذهبي أيضاً في ميزان الاعتدال عن محمد بن السائب الكلبي:

" وقال يزيد بن زريع، وكان سبئيا قال أبو معاوية: قال الأعمش: اتق هذه السبئية، فإني أدركت الناس وإنما يسمونهم الكذابين. وقال ابن حبان (عن ابن الكلبي): سبئيا من أولئك الذين يقولون: إن عليًّا لم يمت وإنه راجع إلى الدنيا ويملؤها عدلاً، كما ملئت جوراً، وإن رأوا سحابة قالوا: أمير المؤمنين فيها. وقال الجوزجاني وغيره: كذاب وقال الدارقطني وجماعة: متروك. وقال ابن حبان مذهبه في الدين ووضوح الكذب فيه أظهر من أن يحتاج إلى الإغراق في وصفه " [٣].

وقال ابن حجر العسقلاني في تقريب التهذيب: " محمد بن السائب أبو النضر الكوفي النسابة المفسر متهم بالكذب ورمي بالرفض " [٤].

أما هشام بن السائب الكلبي ت٢٠٤هـ:

يقول عنه ابن حجر: " هشام بن محمد بن أبو المنذر الإخباري النسابة العلامة روى عن أبيه أبي المفسر وعن مجالد وحدث عنه جماعة، قال أحمد بن حنبل. إنما كان صاحب سمر ونسب ما ظننت أن

(١) ابن عدي، الكامل في ضعفاء الرجال، دار الفكر، بيروت، ٩٣/٦.
(٢) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ٢٤٨/٦.
(٣) ميزان الاعتدال، ١٦١/٦.
(٤) ابن حجر العسقلاني، تقريب التهذيب، دار الرشيد، سوريا، ٤٧٩/١.

أحداً يحدث عنه، وقال الدارقطني وغيره: متروك، وقال ابن عساكر: رافضي ليس بثقة " [1].

وذكره الخطيب البغدادي بعد أن ساق بسقده قائلاً: " حدثنا عبد الله ابن أحمد قال: سمعت أبى يقول: هشام بن محمد بن من يحدث عنه إنما هو صاحب نسب وسمر، وما ظننت أن أحداً يحدث عنه، بلغني أن هشام مات في سنة أربع ومائتين، وقيل: سنة ست ومائتين"[2].

وقال ابن عدي في كتابه الكامل في ضعفاء الرجال: " هشام بن محمد ابن السائب ومحمد بن السائب والده صاحب التفسير سمعت بن حماد يقول: حدثني عبد الله سمعت أبى يقول: هشام من يحدث عنه إنما هو صاحب سمر ونسبة، وما ظننت ان أحدا يحدث عنه، وهذا كما قال أحمد هشام الغالب عليه الأخبار والأسمار والنسبة ولا أعرف له شيئا من المسند " [3].

صفوة القول:

إن أبا مخنف إخباري رافضي تالف متهم بالكذب، شيعي محترق. أما محمد بن السائب الكلبي وابنه هشام فهما إخباريان متهمان بالرفض والتشيع، وتلفيق المرويات التاريخية.

لكن يبقى السؤال قائماً: لماذا روى الطبري عن هؤلاء الإخباريين رغم تجريح العلماء لهم؟

نجد الإجابة على هذا التساؤل في مقدمة تاريخ الطبري إذ يوضح لنا منهجه بكل صراحة حين يقول:

" فما يكن في كتابي هذا من خبر ذكرناه عن بعض الماضين مما يستنكره قارئه، أو يستشنعه سامعه من أجل أنه لم يعرف له وجهاً في

(١) لسان الميزان، ١٩٦/٦.
(٢) تاريخ بغداد، ٤٥/١٤.
(٣) الكامل في ضعفاء الرجال، ١١٠/٧.

الصحة، ولا معنى في الحقيقة، فليعلم أنه لم يؤت في ذلك من قبلنا وإنما أتى من قبل بعض ناقليه إلينا، وإنا إنما أدينا ذلك على نحو ما أدى إلينا"[١].

هكذا يلقي الطبري تبعة الرواية على عهدة الراوي؛ لأنه يعلم أنه بمجرد ذكراسم الراوي الذي أخذ عنه الخبر أو الحديث فإنه يكون قد أدى الأمانة لأصحابها، لأن الناظر علمه بحال الراوي وخاصة في حالة الرواة المجروحين، فإنه لن يقبل هذه الرواية الواهية أو المكذوبة. وهذه كانت طريقة كثير من علماء السلف قديما الذين لم يكونوا يشترطون على أنفسهم الصحة في كل المرويات التي يكتبونها. وكنا نود أن يعلق الطبري على الأخبار والخرافات والأساطير والأكاذيب التي قيلت في حق الصحابة رضوان الله عليهم، وخاصة في موقعتي الجمل وصفين تلك المرويات التي اعتمد عليها كل من أراد النيل من تاريخ الصحابة الأخيار رضوان الله عليهم حتى صار الأمر ببعض البسطاء باعتقادهم أن ما شجر بين الصحابة مسلم به؛ لأنه مروي عن ابن جرير؛ لأنه المصدر الأساسي لكل هذه الكتب التي تناولت الحقبة التاريخية الأولى التي رواها الإخباري الخبيث أبو مخنف وابنا الكلبي [٢].

ونريد أن نقول أن إتهام الطبري بالتشيع لم يثبت، وإن كانت كتاباته كانت نقلا (في أحيان كثيرة) عمن أتهم ليس بالتشيع فقط، بل بالرفض والوضع والتشنيع على الصحابة الأطهار الأخيار وأهل السنة الأبرار؛ لذا وجب التنويه على القارئ والباحث في كتابات الطبري توخي الحذر من مروياته لاسيما في الجوانب الخلافية بين الصحابة وأهل السنة، والجماعة والشيعة.

* * *

(١) ابن جريرالطبري، تاريخ الطبري، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ٥/١.

(٢) هاني السباعي، مدير مركز المقريزي للدراسات التاريخية بلندن، من مصادر السيرة النبوية، كتب التاريخ العام.

المؤرخ ابن خلكان

من مشاهير أعلام المسلمين

المؤرخ "ابن خلكان" صاحب كتاب "وفيات الأعيان"

ابن خلكان هو أحمد بن محمد بن إبراهيم بن خلكان قاضي القضاة شمس الدين أبو العباس البرمكي الإربلي الشافعي، ولد بإربل سنة ثمان وستمائة وسمع بها " صحيح البخاري " من أبي محمد بن هبة الله ابن مكرم الصوفي وأجاز له المؤيد الطوسي وعبد المعز الهروي وزينب الشعرية. روى عنه المزي والبرزالي والطبقة، وكان فاضلاً بارعاً متفنناً عارفاً بالمذهب حسن الفتاوي جيد القريحة بصيراً بالعربية علامة في الأدب والشعر وأيام الناس، كثير الاطلاع حلو المذاكرة وافر الحرمة، فيه رياسة كبيرة، له كتاب " وفيات الأعيان " وقد اشتهر كثيراً وله مجاميع أدبية. قدم الشام في شبيبته وقد تفقه بالموصل على كمال الدين بن يونس وأخذ بحلب عن القاضي بهاء الدين بن شداد وغيرهما. ودخل مصر وسكنها مدة وتأهل بها وناب بها في القضاء عن القاضي بدر الدين السنجاري ثم قدم الشام على القضاء في ذي الحجة سنة تسع وخمسين منفرداً بالأمر ثم أقيم معه في القضاء ثلاثة سنة أربع وستين وكان ذلك في جمادى الأولى جاء من مصر ثلاثة تقاليد لشمس الدين عبد الله بن محمد بن عطاء الحنفي ولزين الدين عبد السلام الزواوي المالكي ولشمس الدين عبد الرحمن ابن الشيخ أبي عمر الحنبلي فلم يقبل المالكي ووافق الحنفي والحنبلي، وكان الحنفي قبل ذلك نائبا للشافعي، ثم إن الأمر من مصر ورد بإلزام المالكي وامتنع المالكي والحنبلي من أخذ الجامكية وقالا نحن في كفاية. قال شهاب الدين أبو شامة: ومن العجيب اجتماع ثلاثة من قضاة القضاة لقب كل واحد منهم

شمس الدين في زمن واحد. واتفق أن الشافعي استناب نائباً لقبه شمس الدين فقال بعض الأدباء الظرفاء:

أهل دمشق استرابوا ::: من كثرة الحكام
إذ هم جميعاً شموس ::: وحالهم في الظلام

وقال أيضاً:

بدمشق آية قد ::: ظهرت للناس عاما
كلما ازدادوا شموسا ::: زادت الدنيا ظلامها

ثم عزل عن القضاء سنة تسع وستين بالقاضي عز الدين ابن الصائغ، ثم عزل ابن الصائغ بعد سبع سنين به، وقدم من مصر فدخل دخولا لم يدخل غيره مثله من الاحتفال والزحمة وأصحاب البغال والشهود وكان يوما مشهودا وجلس في منصب حكمه وتكلم الشعراء. ولما قدم ابن خلكان إلى دمشق ثانياً وكان لثامن سنة قال رشيد الدين الفارقي في ذلك:

أنت في الشام مثل يوسف في مصـ ::: ـر وعندي أن الكرام جناس
ولكل سبع شداد وبعد الـ ::: ـسبع عام يغاث فيه الناس

وقال سعد الدين الفارقي:

أذقت الشام سبع سنين جدبًا ::: غداة هجرته هجرًا جميلا
فلما زرته من أرض مصر ::: مددت عليه من كفيك نيلا

وكان كريمًا جوادًا ممدوحًا فيه ستر وحلم وعفو، وحكايته في ذلك مشهورة. ثم عزل بابن الصائغ ودرس بالأمينية إلى أن مات عشية نهار السبت سادس عشرين شهر رجب سنة إحدى وثمانين بالنجيبية النورية وشيعة الخلائق.

أنشدني من لفظه لنفسه شهاب الدين أحمد بن غانم كاتب الإنشاء يرثي قاضي القضاة شمس الدين:

يا شمس علوم في الثرى قد غابت ::: كم نبت عن الشمس وهي ما إن نابت
لم تأت بمثلك الليالي أبدًا ::: إما قصرت عنه وإما هابت

وكان وجيه الدين محمد بن سويد صاحبه وكان يسومه قضاء أشغال كثيرة ويقضيها، فحضر في بعض الأيام ورام منه أمراً متعذرا فاعتذر، فقال: ما يكون الصاحب صاحباً حتى يعرق جبينه مع صاحبه في جهنم، فقال القاضي: بلى يا وجيه الدين، صرنا معك قشلمشا وما ترضى. ويقال: إنه عمل تاريخا للملك الظاهر ووصل نسبه بجنكزخان، فلما وقف عليه قال: هذا يصلح أن يكون وزيراً، اطلبوه، فطلب وبلغ الخبر الصاحب بهاء الدين ابن حنا فسعى في القضية إلى أن أبطل ذلك، وناسى السلطان عليه، فبقى في القاهرة يركب كل يوم ويقف في باب القرافة ويمشي قدام الصاحب إلى أن يوصله بيته، وافتقر حتى لم يكن له غير البغلة لركوبه، وكان له عبد يعمل بابا ويطعمه، والشيخ بهاء الدين ابن النحاس يؤثره، ومع ذلك فلا يحنو عليه الصاحب ولا يحن إلى الإحسان إليه، حتى فاوضه الدوادار وقال له: إلى متى يبقى هذا على هذه الحالة فجهز إلى مكانه بدمشق على القضاء. وحضر إليه وهو بالقاهرة عز الدين محمد بن شداد بكتب فقارس من الغور وانتقالها إلى الظاهر وقد ثبتت عليه بالشام وطلب منه الإشهاد عليه بما فيها لتثبت بمصر، قال: كيف اشهد على قال: يأذن لك قاضي القضاة ابن رزين. فقال: لو كنت مولياً ما كنت آذن له، أفأكون مولى من جهته هذا لا يكون أبداً. واطلع الظاهر على ذلك فعظم عنده وتحقق شرف نفسه. وأمر له بدر الدين بيليك الخزندار تلك الأيام بألفي درهم ومائة إردب قمح فأبى من قبولها وتلطف معه مع القاصد، فقال: تجوع الحرة ولا تأكل بثدييها، ولم يقبل وأصر على الامتناع مع الفاقة الشديدة. وكان له ميل إلى بعض أولاد الملوك وله فيه الأشعار الرائقة، يقال إنه أول يوم جاء إليه بسط له الطرحة وقال: ما عندي أعز من هذه، طأ عليها، ولما فشا أمرهما وعلم به أهله منعوه من الركوب فقال:

يا ساديتي إني قنعت وحقكم ::: في حبكم منكم بأيسر مطلب
إن لم تجودوا بالوصال تعطفاً ::: ورأيتم هجري وفرط تجنبي
لا تمنعوا عيني القريحة أن ترى ::: يوم الخميس جمالكم في الموكب

لو كنت تعلم يا حبيبي ما الـذي ::: ألقـاه مـن ألمٍ إذا لم تركـب
لرحمتني ورثيـت لي مـن حالـةٍ ::: لولاك لم يك حملها مـن مـذهبي
قسماً بوجهك وهو بـدر طـالع ::: وبليل طرتـك الـتي كالغيهـب
وبقامةٍ لك كالقضيب ركبـت في ::: أخطارها في الحب أصعب مركـب
وبطيب مبسمك الشهي البادر الـ ::: عذب النمير اللؤلـؤي الأشـنب
لو لم أكن في رتبة أرعى لهـا الـ ::: عهد القـديم صـيانة للمنصـب
لهتكت ستري في هـواك ولـذ لي ::: خلـع العـذار ولـو ألح مـؤنبي
لكن خشيت بأن تقـول عـواذلي ::: قد جن هذا الشيخ في هذا الصـبي
فارحم فديتك حرقة قـد قاربـت ::: كشف القناع بحق ذيـاك الـنبي
لا تفضحن محبك الصـب الـذي ::: جرعته في الحب أكـدر مشـرب

أخبرني من لفظه القاضي جمال الدين عبد القاهر التبريزي قال: كان الذي يهواه القاضي شمس الدين هو الملك المسعود وكان قد تيمه حبه فكنت أنام عنده في العادلية فتحدثنا في بعض الليالي إلى أن راح الناس من عنده فقال لي: نم أنت، وألقي على فروة، وقام يدور حول البركة في بيت العادلية، ويكرر هذين البيتين إلى أن أصبح وتوضأ. والبيتان المذكوران:

أنـا والله هالـك ::: آيـس مـن سـلامتي
أو أرى القامـة الـتي ::: قـد أقامـت قيـامتي

ويقال: إنه سأل بعض أصحابه عما يقوله أهل دمشق عنه فاستعفاه، فألح عليه فقال: يقولون إنك تكذب في نسبك، وتأكل الحشيشة، وتحب الغلمان. فقال: أما النسب والكذب فيه فإذا كان ولا بد منه فكنت أنتسب إلى العباس أو إلى على بن أبي طالب، أو إلى أحد الصحابة، وأما النسب إلى قوم لم يبق لهم بقية وأصلهم فرس مجوس فما فيه فائدة. وأما الحشيشة فالكل ارتكاب محرم، وإذا كان ولا بد فكنت أشرب الخمر لأنه ألذ. وأما محبة الغلمان فإلى غد أجيبك عن هذه المسألة. قال قطب الدين البونيني: سمعت من يذكر إنما خرج له النسب إلى البرامكة أبو شامة، وليس كذلك. ووقفت على مجلدة من " تاريخ إربل " لوزيرها شرف

الدين وقد ذكر وفاة ابن عم قاضي القضاة وقد نسبه إلى البرامكة ولعل ذلك قبل خروجه من إربل. وذكره الصاحب كمال الدين في " تاريخ حلب " ونسبه إلى البرامكة.

ومن شعره:

وسرب ظباء في غدير تخالعوا ::: بدور بأفق الماء تبدو وتغرب
يقول عذولي والغرام مصاحبي ::: أما لك عن هذي الصبابة مذهب
وفي دمك المطلول خاضوا كما ترى ::: فقلت له: ذرهم يخوضوا ويلعبوا

ومنه مضمناً:

كم قلت لما أطلعت وجناته ::: حول الشقيق الغض دوحة آس
لعذاره الساري العجول بخده ::: ما في وقوفك ساعة من باس

ومنه:

لما بدا العارض في خده ::: بشرت قلبي بالنعيم المقيم
وقلت هذا عارض ممطر ::: فجاءني فيه العذاب الأليم

ومنه على ما قيل:

انظر إلى عارضه فوقه ::: لحاظه ترسل منها الحتوف
تشاهد الجنة في وجهه ::: لكنها تحت ظلال السيوف

ومنه:

ولما أن تفرقنا ::: وحالت نوب الدهر
رأيت الشهد لا يحلو ::: فما ظنك بالصبر

ومنه:

وما سر قلبي منذ شطت بم النوى ::: نعيم ولا لهو ولا متصرف
ولا ذقت طعم الماء إلا وجدته ::: سوى ذلك الماء الذي كنت أعرف
ولم أشهد اللذات إلا تكلفا ::: وأي سرور يقتضيه التكلف

ومنه:

أحبابنا لو لقيتم في إقامتكم ::: من الصبابة ما لا قيت في ظعني
لأصبح البحر من أنفاسكم يبساً ::: والبر من أدمعي ينشق بالسفن

ومنه:

تمثلتم لي وبالبلاد بعيدة ::: فخيل لي أن الفؤاد لكم مغنى
وناجاكم قلبي على البعد والنوى ::: فأوحشتم لفظاً وآنستم معنى

وقال في ملاح أربعة يلقب أحدهم بالسيف:

ملاك بلدتنا بالحسن أربعة ::: بحسنهم في جميع الخلق قد فتكوا
تملكوا منهج العشاق وافتتحوا ::: بالسيف قلبي ولولا السيف ما ملكوا

ومنه:

أي ليل على المحب أطاله ::: سائق الظعن يوم زم جماله
يزجر العيس طاوياً يقطع المه ::: مه عسفاً وسهوله ورماله
أيها السائق المجد ترفق ::: بالمطايا فقد سئمن الرحاله
وأنخها هنيهة وأرحها ::: قد براها السرى وفرط الكلاله
لا تطل سيرها العنيف فقد بر ::: ح بالصب في سراها الإطاله
وتركتم وراءهم حلف وجد ::: نادباً في محلكم أطلاله
يسأل الربع عن ظباء المصلى ::: ما على الربع لو أجاب سؤاله
ومحال من المحيل جواب ::: غير أن الوقوف فيها غلاله
هذه سنة المحبين يبكو ::: ن على كل منزل لا محاله
يا ديار الأحباب لا زالت الأد ::: مع في ترب ساحتيك مذاله
وتمشى النسيم وهو عليل ::: في مغانيك ساحباً أذياله
أين عيش مضى لنا فيك ما أسـ ::: رع عنا ذهابه وزواله
حيث وجه الشباب طلق نضير ::: والتصابي غصونه ميالة
ولنا فيك طيب أوقات أنس ::: ليتنا في المنام نلقي مثاله
وبأرجاء جوك الرحب سرب ::: كل عين تراه تهوى جماله
من فتاة بديعة الحسن ترنو ::: من جفون لحاظها مغتاله
ورحيم الدلال حلو المعاني ::: تتثنى أعطافه مختاله
ذي قوام تود كل غصون الـ ::: بان لو أنها تحاكي اعتداله
وجهه في الظلام بدر تمام ::: وعذاراه حوله كالهاله

ومن ذلك:

كأنني يوم بان الحي عن إضم ::: والقلب من سطوات البين مذعور

ورقاء ظلت لفقد الإلف ساجعة ::: تبكي عليه اشتياقاً وهو مأسور
يا جيرة الحي هل من عودة فعسى ::: يفيق من نشوات الشوق مخمور
إذا ظفرت من الدنيا بقربكم ::: فكل ذنب جناه الدهر مغفور

وله في الدوبيت شيء كثير من أحسنه قوله:

في هامش خدك البديع القاني ::: أسرار هوى لكل صب عان
قد خرجها الباري فما أحسنها ::: من حاشية بالقلم الريحاني

وقوله:

روحي بك يا معذبي قد شقيت ::: في جنب رضاك في الهوى ما لقيت
لا تعجل بالله عليها فعسى ::: أن تدركها برحمة إن بقيت

وقوله:

يا سعد عساك تطرق الحي عساك ::: قصداً فإذا رأيت من حل هناك
قل صبك ما زال به الوجد إلى ::: أن مات غراماً أحسن الله عزاك

وكتب إليه السراج الوراق لغزاً في مئذنة:

يا إماماً له ضياء ذكاء ::: يتلاشى له ضياء ذكاء
ما مسمى بالرفع يعرب والنصـ ::: ـب وإن كان مستقر البناء
علم مفرد فإن رفعوه ::: رفعوه عمداً لأجل النداء
أنثوه ومنه قد عرف التذكيـ ::: ـر فانظر تناقض الأشياء
وهو ظرف فأين من فيه ظرف ::: ليجلي من هذه العمياء

فأجاب: قال شمس الدين أحمد بن المنير في قاضي القضاة المذكور:

ليس شمس الضحى كأوصاف شمس الديـ ::: ـن قاضي القضاة حاشا وكلا
تلك مهما علت محلا ثنت ظ ::: لا وهذا مهما علا مد ظلا

وكتاب " وَفَيَات الأعيان وأَنباءُ أبناءِ الزَّمان " من أشهر كتب التراجم العامّة وأوفاها. ألّفه أبو العبّاس، أحمد بن محمد بن خلِّكَان (ت٦٨١هـ، ١٢٨٢م) المؤرّخ الحجة والأديب الماهر، المولود في إربل بالقرب من الموصل.

أبان ابن خلكان عن طبيعة تأليفه في مقدمته التي صدَّر بها

الكتاب فقال فيها: " ولم أقصر هذا المختصر على طائفة مخصوصة من العلماء أو الملوك أو الشعراء... بل كل من له شهرة بين الناس ". ومع ذلك فإن ابن خلكان لم يعمد إلى ذكر كافة الأعلام المشاهير، فقد أغفل تراجم معظم الصحابة والخلفاء ومن في حكمهم وركّز على أعلام زمنه. ولعلنا نجد له مخرجًا لأن هؤلاء المشاهير قد استوفاهم كثير ممن ألّف في التراجم، لذا جعل عمدته مشاهير عصره ومن يقع السؤال عنهم في زمانه فأضاف إلى تراث التراجم مادة أصيلة لا غنى للباحثين عنها.

ومع أن المؤلف قصد إلى الاختصار وجعله رائده في ذلك، إلاّ أنك كثيرًا ماتجده يطيل في بعض التراجم ويسهب في ذكر الروايات التاريخية والأشعار حتى وصل في بعض التراجم إلى عشرين صفحة أو نحوها. ورغم ذلك فقد حوى الكتاب قرابة ألف ترجمة.

وقد بدأ ابن خلكان كتابه مفضلاً مبدأ السنين في ترتيب التراجم، ثم وجده عسيرًا فعدل عنه إلى الترتيب الهجائي، وهو المنهج السائد لدى كثيرين ممن صنفوا في التراجم، وقد عرض لذلك في مقدمة الكتاب فقال: " ورأيته على حروف المعجم أيسر منه على السنين، فعدلت إليه والتزمت فيه تقديم من كان أول اسمه الهمزة ليكون أسهل للتناول، وإن كان هذا يفضي إلى تأخير المتقدم وتقديم المتأخّر وإدخال من ليس من الجنس بين المتجانسين ".

وتميّز الكتاب على سائر كتب التراجم بعناية مؤلفه بإثبات سنة الولادة والوفاة متى تيسّر له ذلك، وبلغ من عنايته بذلك أنه كان يسقط الترجمة كلها إذا لم يوفق في الوقوف على سنة الوفاة ويعتذر عن ذلك بقوله عن بعض التراجم: " ولم أظفر بوفاته حتى أفرد له ترجمة ".

وهذه الحفاوة بذكر التواريخ، بالإضافة إلى غزارة المادة وسداد المنهج وسهولة التناول، جعلت الكتاب في صدارة كتب التراجم

العامة؛ لذلك حظي الكتاب باهتمام الباحثين منذ القدم فأكمل ابن شاكر الكتبي بعض نواقصه بكتابه المسمَّى فوات الوفيات، كما ألف صلاح الدين الصفدي كتابًا يُعدُّ ملحقًا له سمّاه الوافي بالوفيات. أما في العصر الحديث فقد بلغ من عناية الناس به أنه طبع نحو سبع طبعات.

* * *

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

الحمد لله رب العالمين حمداً طيباً مباركاً فيه كما يحب ربُّنا ويرضى، وكما ينبغي لكرم وجهه وعزِّ جلاله، غير مَكْفِيٍّ ولا مكفورٍ ولا مودَّعٍ ولا مستغنى عنه ربُّنا، ونسأله أن يوزعنا شكر نعمته، وأن يوفِّقنا لأداء حقه، وأن يعيننا على ذكره وشكره وحسن عبادته،وأن يرزقنا الشهادة في سبيله، وأن يجعل ما قصدنا له في هذا الكتاب وفي جميع أقوالنا وأفعالنا خالصاً لوجهه الكريم، ونصيحة لعباده.

فيا أيها القارئُ له، لك غُنْمُه وعلى مؤلفه غُرْمُه، لك ثمرتُه وعليه تَبِعَتُه، فما وجدتَ فيه من صوابٍ وحقٍ فاقبله ولا تلتفت إلى قائله، بل انظر إلى ما قال لا إلى من قال وقد ذَمَّ الله تعالى من يَرُدَّ الحقَّ إذا جاء به مَن يبغضه، ويقبله إذا قاله من يحبه فهذا خُلُقُ الأمة الغضبية. فقد قال بعض الصحابة: اقبل الحق ممن قاله وإن كان بغيضاً، ورُدَّ الباطل على من قاله وإن كان حبيباً.

وما وجدتَ فيه من خطأ فإن قائله لم يألُ جهد الإصابة، ويأبى الله إلا أن يتفرد بالكمال، كما قيل:

والنَّقْصُ في أصلِ الطبيعةِ كامنٌ ::: فَبَنُو الطبيعةِ نَقْصُهم لا يُجْحَدُ

وكيف يُعْصَمُ من الخطأ من خُلق ظلوماً جهولاً، ولكن من عُدَّت غلطاتُه أقربُ إلى الصوابِ ممن عُدَّت إصاباتُه، وعلى المتكلم في هذا الباب وغيره أن يكون مصدر كلامه عن العلم بالحق، وغايته النصيحة لله، ولكتابه، ولرسوله، ولإخوانه المسلمين، وإن جعلَ الحقَ تبعاً للهوى

فَسَدَ القلبُ والعملُ والحالُ والطريقُ... والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم وبارك على خاتم المرسلين محمدٍ وعلى آله أجمعين.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين،

الفقير إلى عفو ربه ومغفرته ورضوانه،

رجب محمود إبراهيم بخيت

* * *